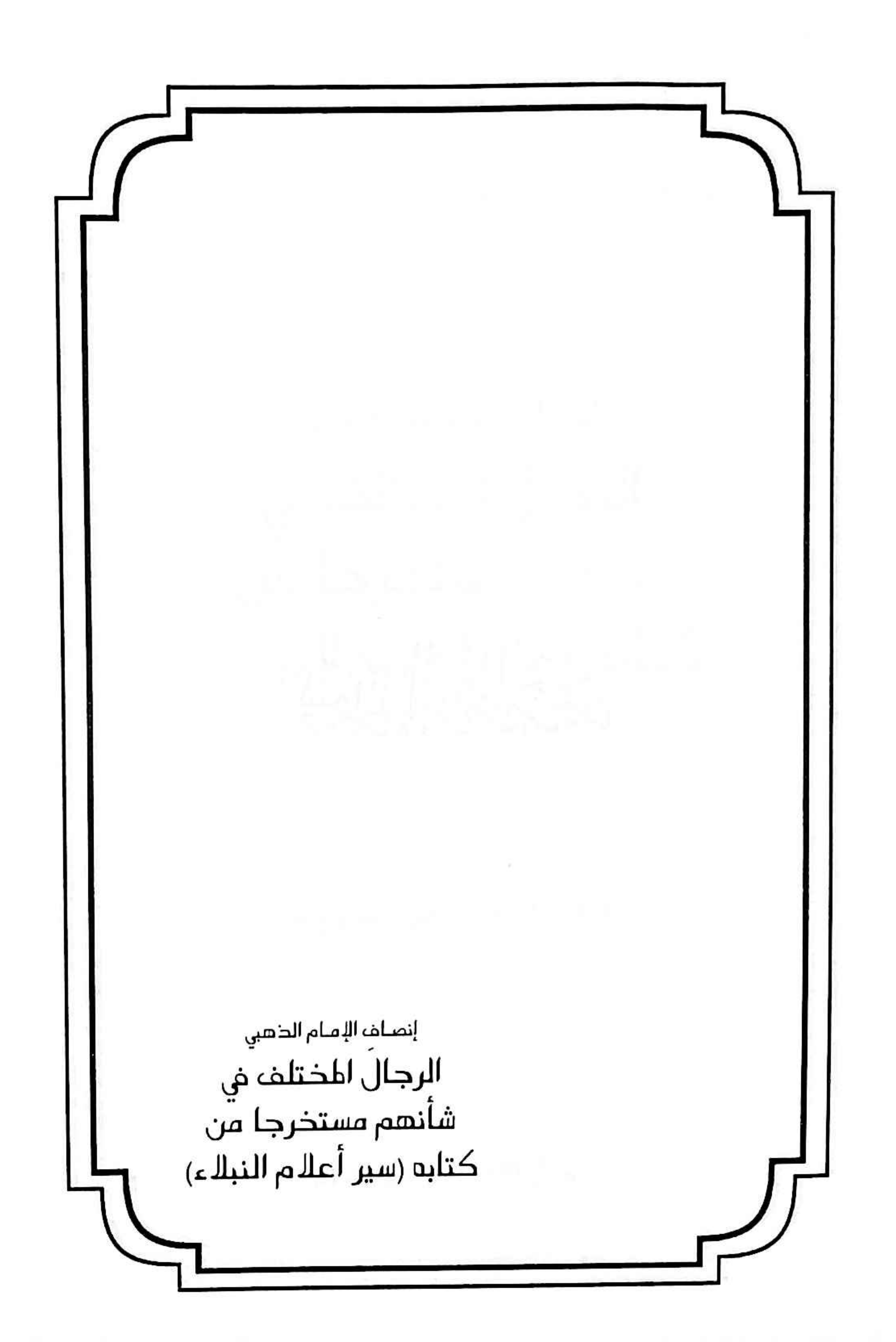
سلسلة تقريب تراث الإنصاف عند سلفنا (٢)

إنصاف الإمام الذهبي

الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجا من كتابه (سير أعلام النبلاء)

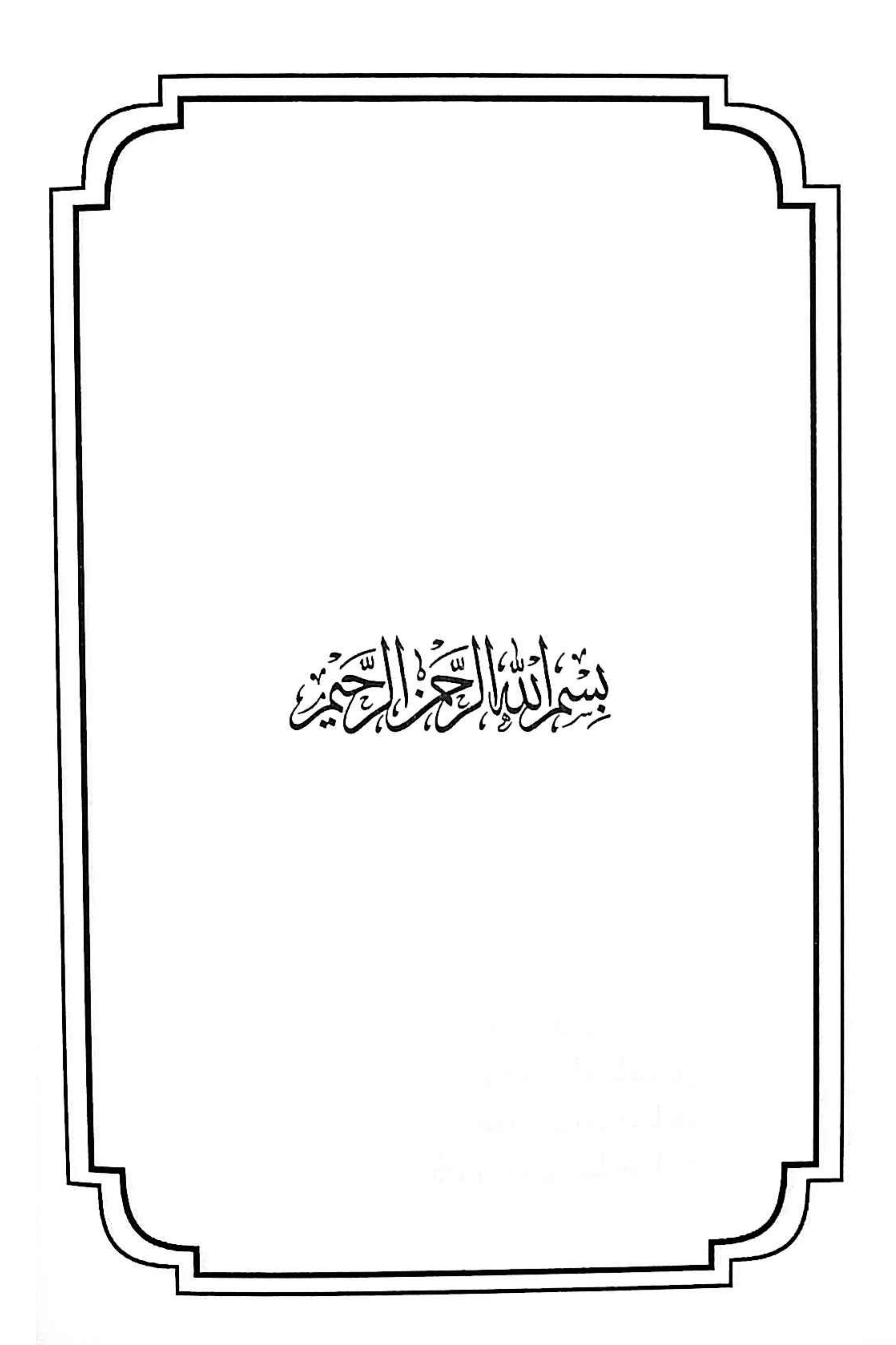
د. محمد بن موسى الشريف

دار الأندلس الخضراء



إنصاف الإمام الذهبي

الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجا من كتابه (سير أعلام النبلاء)


بسم الله الرحمن الرحيم

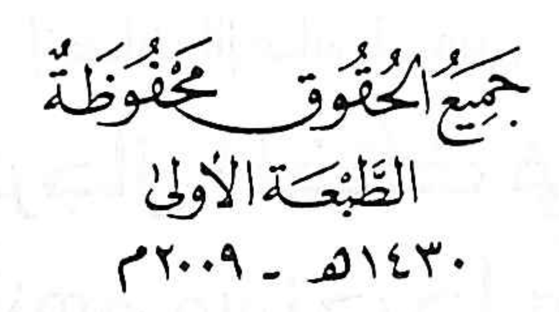
سلسلة تقريب تراث الإنصاف عند سلفنا (٢)

إنصاف الإمام الذهبي

الرجالَ المختلف في شأنهم مستخرجا من كتابه (سير أعلام النبلاء)

د. محمد بن موسى الشريف

دار الأندلس الخضراء



دار الأندلس الخضراء

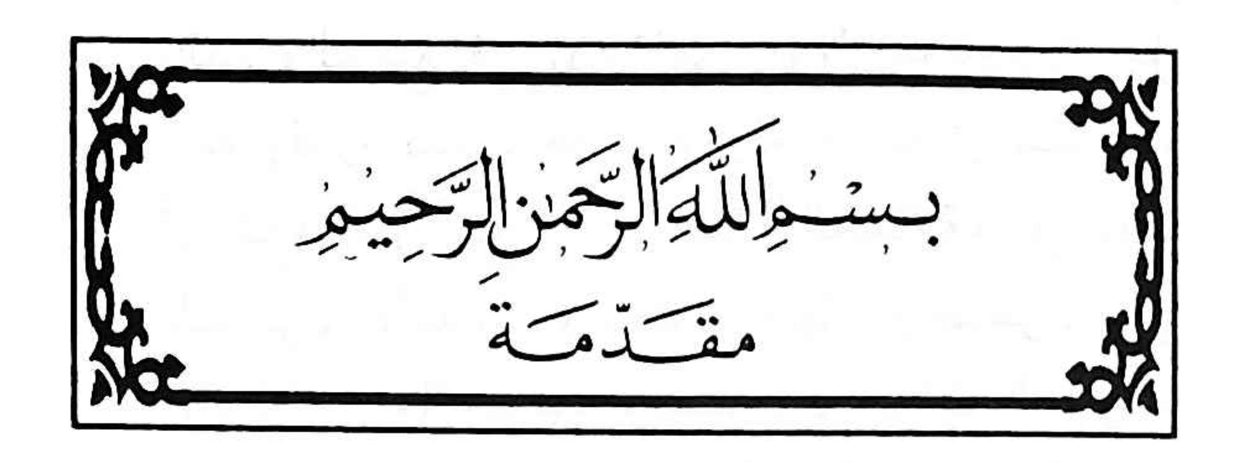




جدة / هاتف : ٠٢/٦٨١٠٥٧٧
/ فاكس : ٠٢/٦٨١٠٥٧٨
الرياض / هاتف : ٠١/٢٤٨١٧٠٥
/ فاكس : ٠١/٢٤٨١٩٠٥
التوزيع / ٠٥٥٤٨١٩٠٥ - ٠٥٤٤٠٤٦٠١٢

المكتبات : حي السلامة
هاتف - فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩
حي الثغر - شارع باحشب
هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

البريد الإلكتروني
alandalos1@gawab.com
ص.ب : ٤١٢٤٠ جدة ٢١٥٤١



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد كنت أخرجت للقراء الكرام ما كتبه الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في بيان حال الرجال الذين اختلف في شأنهم في صحيح الإمام البخاري، مستقياً ذلك من كتاب «هدي الساري» مقدمة صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، ووعدت آنذاك بمواصلة استخراج هذه الدرر والنفائس من كتب سلفنا وأئمتنا، وجملة هذه الاستخراجات دالة على التالي:

١ ـ الإنصاف الجليل الذي كان عليه أئمتنا رحمة الله تعالى عليهم؛ إذ إنهم كانوا لا يسارعون بالهدر

والتهديم، ولا التهويش والتشويه، ولا التعميم بالذم والتوسع في الانتقاص، ولا يغمطون الرجل حقه وقدره بسبب هفوة أو زلة عقدية أو سلوكية، أو اتباع لغير نهج أهل السنة والجماعة، بل كانوا يلتمسون الأعذار، ويبحثون عنها، ويضيقون سبل الانتقاص والغَمْط، ويفتحون أبواب القبول، ويمتازون بسعة الصدور مع المخالف.

٢ ـ منهج الموازنة عند سلفنا بين الفضائل والمذامّ، والحسنات والسيئات، وهو وإن كان من جملة الإنصاف الذي تحدثت عنه آنفاً، لكنه حقيق بالإبراز، جدير بإفراد الكلام عليه؛ لأهميته في هذا العصر خاصة؛ حيث كثر رد هذا المنهج بدعوى أنه ليس منهج السلف، وأن من قال بالموازنة بين الحسنات والسيئات فقد ابتدع أو ضل!!

٣ ـ إن سلفنا ـ رضي الله عنهم ـ استفادوا من الرجال استفادة تامة، كلٌ في مكانه اللائق به، فلم يصدروا أحكاماً عامة تقضي على الرجل بالبطلان التام لكل أعماله وجهوده، وفي الحالات الشديدة البعد عن منهج السنة فإنهم راعوا وصفه بما فيه من حق وخير، وحذروا من شره وزلله، فأين هذا

مما يجري اليوم من تناسٍ تام لكل الحسنات، وغَمْط لقدر الشخص ومكانته.

٤ ـ إن السلف وضعوا للجرح والتعديل ضوابط، وجعلوا للإنصاف محلاً بارزاً فيها، بينما يتصدى من يجرح ويعدل اليوم لهذا العمل الجليل بدون ضوابط واضحة، وتحت عناوين عامة فضفاضة كمخالفة منهج السلف مثلاً، وليس للإنصاف عند أكثرهم مكان كما شاهدنا وسمعنا.

٥ ـ إن الورع يلف أكثر مجرحي ومعدلي السلف فتجدهم يعمدون إلى اختيار ألفاظهم بعناية، وإلى التأني والتريث، وإلى مراجعة حال المجروح غالباً قبل إصدار حكمهم، لكن أين هذا الورع اليوم؟ ونحن نشاهد أن من يجرح يشفي صدره، وينفث نفثات المصدور الغاضب الذي يريد أن يمزق مجروحه فلا يبقي ولا يذر، وكل هذا الصنيع تحت شعار متابعة السلف وصنع صنيعهم، وأكثر رجال الجرح والتعديل من سلفنا من أمثال هؤلاء برآء، والله المستعان(١).

---

(١) قد سبق لي في الكتاب الأول من هذه السلسلة أن فصلت هذا كله وضربت عليه أمثلة.

سبب اختياري كتاب «سير أعلام النبلاء»:

إن «سير أعلام النبلاء» مبسوطة علمية عظيمة، أزعم أن جيلنا لم يستفد منها بعد حق الاستفادة، فإن حقها أن يتربى الناشئة والكبار على ما فيها من عبر وعظات، وعبادة وزهد، وتقوى وورع، وشجاعة وجهاد، وعلم وعمل، لكن هذا الجلال وتلك العظمة لم تجد بعد من يربي عليها القلوب والعقول.

وإن مما تطفح به السير الإنصافَ الجليل الذي أورده الذهبي من كلام السلف والخلف، ثم الإنصاف الذي أنصف به هو نفسه جماعات من العباد والزهاد والعلماء وغيرهم، هذا الإنصاف الذي أزعم أني لم أقف على مثله عند أي إمام آخر ممن قرأت له، ولا ما يقاربه؛ فإن الذهبي إن صح أن يوصف بوصف جامع واحد فيقال فيه: المؤرخ المنصف، فإن علائم الإنصاف في سيره أعظم من أن تخطئها العين، وقد اجتهد في إنصاف جماعة طعنوا وذموا أعظم اجتهاد، ووضع من القواعد والضوابط لهذا ما يشرح قلب المؤمن ويفرحه، فرحمة الله على هذا العالم الكبير الذي لم يكتف بإنصاف من سبقه، بل تعدى ذلك إلى إنصاف أهل عصره ممن تُكلم فيهم أو طعنوا

وجرحوا، وذلك في مصنفات له أخرى أرجو إن شاء الله تعالى أن أنشط لاستخراج درر الإنصاف منها.

صنيعي في هذه الرسالة:

١ ـ انتقيت المواضع التي تحدث فيها الإمام الذهبي منصفاً رجالات السلف والخلف، وذلك من كتابه «سير أعلام النبلاء».

٢ ـ اختصرت الترجمة، ومن ثم وضعتها في مكانها بحسب السياق التاريخي، ولم أر وضع الترجمة كما هي وإنما اختصرتها حفاظاً على وقت القراء، ولئلا تضيع معالم الإنصاف في ثنايا التراجم الطويلة. وقد رأيت أن وضع الترجمة بين يدي القارىء أفضل من إيراد مواضع الإنصاف مجردة من سياقها السابق واللاحق حتى تكتمل له الفائدة، وتتضح عنده العظات والعبر في الوقوف على سيرة تامة.

٣ ـ علقت بما أراه مناسباً على هذه المواضع الإنصافية الذهبية إن احتاج الأمر إلى تعليق، وإلا تركتها غُفْلاً؛ فكلام الذهبي ذهب لا يحتاج إلى تزويق أمثالي.

وفي النهاية أرجو من الله تعالى أن يُطلع الأجيال الناشئة على كنوز أسلافنا هذه، وألا يُذهب عملي أدراج الرياح، وأن ينفع به طلاب الحق والخير والهدى والرشاد، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه، وأن يهبنا الإخلاص، ويرزقنا اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

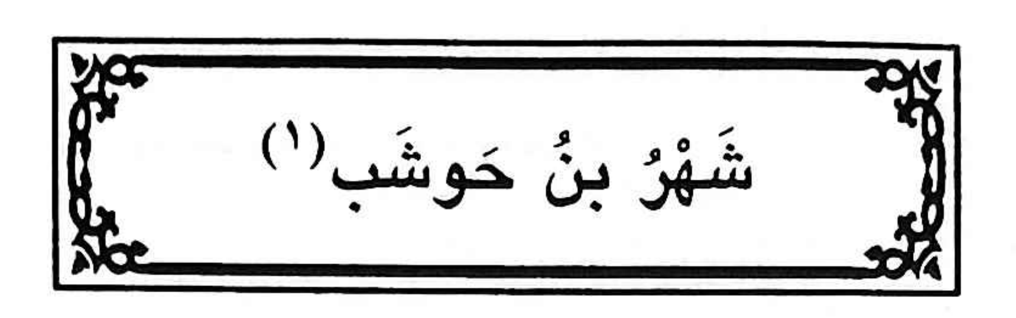
والله أعلم وأحكم، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

محمد بن موسى الشريف

mmalshareef@hotmail.com

www.altareekh.com



أبو سعيد الأشعريُّ الشاميُّ، مولى الصحابيَّة أسماء بنتِ يزيد الأنصارية، كان مِن كبار عُلماء التابعين.

عن شهرٍ، قال:

عَرضتُ القرآن على ابنِ عبَّاس سبع مرَّات.

عثمان بن نويرة، قال:

دُعِي شَهرُ بنُ حوشب إلى وليمةٍ وأنا معه، فدخلنا فأصبنا من طعامهم فلمَّا سَمِعَ المزمارَ وضع أصبعيه في أُذنَيهِ وخرج.

روى يحيى بن أبي بُكير الكِرماني، عن أبيه، قال:

كان شَهر بن حَوْشَب على بيت المال، فأخذ خريطة[2] فيها دراهم فقيل فيه:

---

(١) انظر السير: ٣٧٢/٤ ـ ٣٧٨.

(٢) الخريطة: وعاء من جلد أو نحوه يُشد على ما فيه: «المعجم الوسيط»: (خ ر ط).

لـقـد بَـاعَ شَـهـرٌ دِيـنَـه بِـخَـريـطـةٍ

فَمَن يَأْمَنُ القُرَّاءُ بَعدَكَ يا شَهرُ

أخذتَ بها شيئاً طفيفاً وبِعتهُ

مِن ابن جَريرٍ إنَّ هذا هُو الغَدرُ

قلتُ: إسنادها منقطع، ولعلَّها وقعت وتاب منها، أو أخذها مُتأوِّلاً أنَّ لهُ في بيتِ مالِ المسلمين حقاً، نسأل الله الصَّفح.

ومن مليحِ قَولِ شَهر: من ركبَ مشَهوراً من الدوابِّ، ولبِسَ مشهوراً من الثياب، أعرض الله عنه وإن كان كريماً.

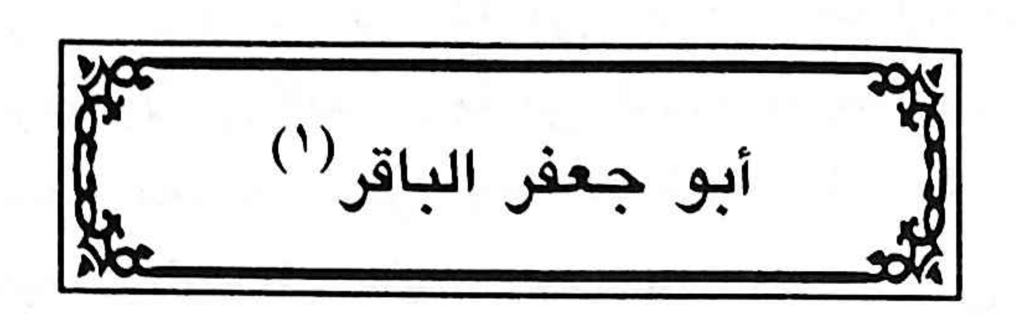
قلتُ: مَن فعلَهُ لِيُعِزَّ الدِّين، ويُرغِمَ المنافقين، ويتواضعَ مع ذلك للمؤمنين، ويَحمدَ ربَّ العالمين، فحسنٌ.

ومن فعلهُ بَذْخاً وتيهاً وفخراً أذلَّه الله وأعرض عنه، فإن عُوتب ووُعِظ فكابر وادَّعى أنَّه ليس بمُختالٍ ولا تيَّاه فأعرِض عنه فإنه أحمق، مغرور بنفسه.

ويعقوب بن شيبة: شَهر ثقة، طعن فيه بعضهم.

قلتُ: الرجلُ غَير مدفوعٍ عن صِدق وعِلم، والاحتجاج به مُترجِّح.

تُوفِّي سنة مئة.



أبو جعفر الباقر[1]

هو السيِّدُ الإمامُ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحُسين، العلويُّ الفاطميُّ، المدنيُّ، ولَدُ زَينِ العابدين.

وُلِدَ سنة ستٍ وخمسين في حياةِ عائشةَ وأبي هريرة.

كان أحدَ مَن جَمع بين العِلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثِّقة، والرَّزانة، وكان أهلاً للخِلافة.

وهو أحدُ الأئمة الاثني عشر الذين تُبجِّلهم الشيعةُ الإماميَّة وتقولُ بِعصمتِهم وبمعرفتِهم بجميع الدِّين، فلا عصمة إلاَّ للملائكة والنبيِّين، وكُلُّ أحدٍ يُصيبُ ويُخطىء، ويُؤخذ من قوله ويُترك سوى النبي ﷺ، فإنه معصوم، مؤيَّدٌ بالوَحي.

وشُهِر أبو جعفر بالباقِر، مِن: بَقر العلمَ، أي: شَقَّه فَعَرفَ أصلَهُ وخفيَّه.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٠١ ـ ٤٠٩.

ولقد كان أبو جعفر إماماً، مجتهداً تالياً لكتابِ الله، كبيرَ الشَّأنِ ولكن لا يبلُغ في القرآن درجةَ ابن كثير ونحوِه، ولا في الفِقه درجةَ أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحِفظ ومعرفةِ السُّنَنِ درجة قتادَة وابنِ شِهاب، فلا نُحابِيه، ولا نَحيفُ عليه، ونحبُّه في الله لما تجمَّع فيهِ من صفات الكمال.

قال ابن فضيل: عن سالم بن أبي حفصة:

سألت أبا جعفر وابنَه جعفراً عن أبي بكرٍ وعُمرَ، فقالا لي: يا سالمُ، تولَّهُما وابرأ من عدوِّهما، فإنَّهما كانا إمامَيْ هدًى.

كان سالمٌ فيه تَشَيُّعٌ ظاهر، ومع هذا فيبُثُّ هذا القولَ الحقَّ وإنما يَعرِفُ الفضلَ لأهل الفضلِ ذو الفَضل، وكذلك ناقِلُها ابنُ فضيل، شيعي ثقة. فعثَّر الله شيعةَ زمانِنا ما أغرقُهم في الجَهل والكذب، فينالون من الشَّيخين وزيري المصطفى ﷺ، ويحملون هذا القول مِن الباقر والصادق على التقيَّة.

عن عبدالله بن محمد بن عقِيل، قال:

كنتُ أنا وأبو جعفر نختلفُ إلى جابر نكتبُ عنه في ألواح.

وبلغَنا أن أبا جعفر كان يُصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة.

وقد عدَّهُ النَّسائي وغيرُه في فقهاء التابعين بالمدينة.

عبدالرحمٰن بن عبدالله الزُّهريُّ، قال:

حَجّ الخليفة هشام، فدخل الحَرَمَ مُتَّكئاً على يَدِ سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحُسين جالس، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن عليّ.

فقال: المَفتُونُ به أهلُ العراق؟

قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقُل له: يقول لك أميرُ المؤمنين: ما الذي يأكلُ النَّاسُ ويشربون إلى أن يُفصَل بينهم يوم القيامة؟

فقال له محمد: يُحشَرُ الناسُ على مثل قُرصةِ النَّقِيِّ[1]، فيها الأنهار مفجَّرة فرأى هشامٌ أنه قد ظَفِر فقال: الله أكبر، اذهب إليه، فقُل له: ما أشغَلَهُمْ عن الأكل والشرب يومئذ، ففعل.

فقال: قل له: هم في النَّار أشغل، ولَم يُشغَلوا أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وعن أبي جعفر، قال: من دخلَ قلبَهُ ما في

---

(١) النقي: يعني الخبز الحواري، وهو الذي يصنع من الدقيق الأبيض.

خالصِ دين الله شَغله عَمَّا سِواه، ما الدُّنيا، وما عَسى أن تكون، هل هو إلاَّ مركبٌ أو ثَوبٌ لِبستَه، أو امرأةٌ أصبتها.

عن محمد بن عليّ، قال:

اذكروا من عَظمة الله ما شئتم، ولا تذكرون مِنهُ شيئاً إلا وهي أعظمُ منه، واذكروا من النَّار ما شئتم، ولا تذكرونَ منها شيئاً إلاَّ وهي أشدُّ منه، واذكروا من الجنة ما شئتم، ولا تذكرون منها شيئاً إلاَّ وهي أفضل.

عن سالم بن أبي حفصة وكان يترفَّض، قال: دخلتُ على أبي جعفر وهو مريض فقال: وأظنُّ قال ذلك من أجلي: اللَّهُمَّ إني أتولَّى وأُحِبُّ أبا بكر وعُمر، اللَّهُمَّ إن كان في نفسي غَيرُ هذا فلا نالتني شَفاعةُ محمدٍ يومَ القيامة ﷺ.

عن عبدالملك بن أبي سُليمان: قلتُ لمحمد بن عليّ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥].

قال: هم أصحاب النبيّ ﷺ.

قلتُ: إنَّهم يقولون: هو عليٌّ.

قال: عليٌّ منهم.

شبابَة: أنبأنا بَسَّام: سمعتُ أبا جعفرٍ يقول:

كان الحسن والحُسَين يُصلِّيان خلفَ مروان

يتبادرانِ الصفَّ، وكان الحُسَينُ يَسُبُّ مروان وهو على المِنبر حتى ينزل. أفتقيَّةٌ هذه؟

قال سُفيان الثوريّ:

اشتكى بعضُ أولادِ محمد بن عليّ، فجزِعَ عليه، ثم أُخبِر بمَوته، فسُرِّيَ عنه. فقيل له في ذلك. فقال:

ندعو الله فيما نُحِبُّ، فإذا وَقَع ما نكرهُ لَمْ نُخَالِفِ الله فيما أحبَّ.

عن عُروة بن عبدالله، قال:

سألتُ أبا جعفرٍ محمدَ بنَ عليٍّ عن حلية السيوف، فقال: لا بأسَ به، قد حلَّى أبو بكر الصِّدِّيق سيفه.

قلتُ: وتقولُ الصِّدِّيق؟

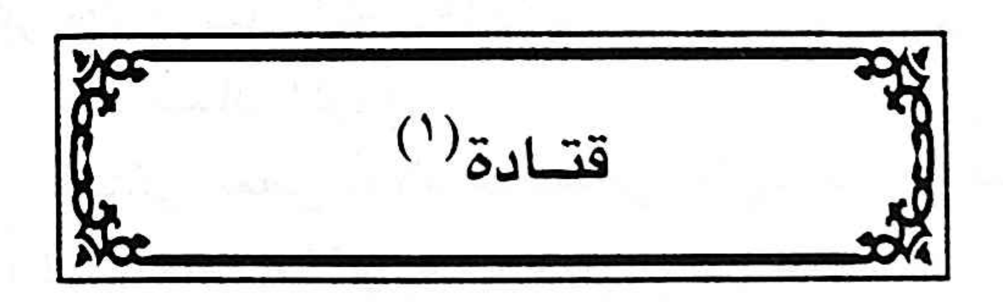
فَوَثَبَ وَثبةً واستقبلَ القِبلة ثم قال: نَعَم الصِّدِّيق، نَعَم الصِّدِّيق، فمن لم يقُل الصِّدِّيق، فلا صَدَّق الله لَه قَولاً في الدنيا والآخرة.

عن محمد بن عليّ، قال: ما دَخل قلبَ امرىء من الكِبر شَيءٌ إلاّ نقَصَ من عَقلِهِ مقدارُ ذلك.

عن أبي جعفر، قال: الصواعِقُ تصيبُ المؤمن وغَير المؤمن، ولا تصيبُ الذاكر.

وعنه قال: سلاح اللئام قُبح الكلام.

مات أبو جعفر سنة أربع عشرة ومئة بالمدينة.



قتـادة[1]

ابن دِعامة بن قتادة، حافظُ العصر، قُدوةُ المفسِّرينَ والمحدثين أبو الخطاب السّدوسي البصري الضرير الأكمه.

كان من أوعية العلم، وممن يُضرب به المثل في قوة الحفظ.

وهو حجَّة بالإجماع إذا بيَّن السماع، فإنه مُدلِّس معروف بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفوَ، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظهِ، ولعلَّ الله يعْذُرُ أمثالَه ممن تلبس ببدعة يُريد بها تعظيمَ الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يُسأل عما يفعل.

ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كَثُرَ صوابُهُ، وعُلِمَ تحرِّيه للحق، واتسع علمُه، وظهر ذكاؤه، وعُرف

---

(١) انظر السير: ٥/٢٦٩ ـ ٢٨٣.

صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك.

قال معمر:

أقام قتادة عند سعيد بن المسيِّب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني[١].

قال معمر: وسمعتُ قتادة يقول:

ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً.

وعنه قال: ما سمعتُ شيئاً إلا وحفظته.

وقال عبدالرزّاق: قتادة من بكر بن وائل.

قال قتادة لِسعيد بن المسيِّب:

يا أبا النضر: خذ المصحفَ، قال: فعرض عليه سورة البقرة فلم يُخْطِ فيها حرفاً قال: فقال: يا أبا النضر أحكمتُ؟

قال: نعم.

قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبدالله أحفظ مني لسورة البقرة، قال: وكانت قرئت عليه الصحيفة التي يرويها سليمان اليشكري عن جابر.

---

(١) أي: أخذت مني علمي كله ولم يبق منه شيء، يقال: نزفت ماء البئر نزفاً: إذا نزحته كله.

عن قتادة، قال:

لقد كان يُستحب أن لا تُقرأ الأحاديث التي عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

أبو هلال: سمعت قتادة يقول:

إن الرجل ليشبع من الكلام كما يشبعُ مِن الطعام.

عن مطر الوراق، قال:

ما زال قتادة متعلماً حتى مات.

قال أبو هلال: قالوا لِقتادة:

نكتب ما نسمع منك؟

قال: وما يمنعُك أن تكتب، وقد أخبرك اللطيفُ الخبير أنه يكتب، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥٢].

وسمعته يقول:

الحفظ في الصِّغر كالنقش في الحجر.

عن قتادة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال: كفى بالرَّهبة علماً، اجتنبوا نقض الميثاق، فإن اللَّهَ قدّم فيه وأوعد، وذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجّة، إيَّاكُمْ والتكلفَ والتنطعَ والغُلوَّ والإعجابَ بالأنفس. تواضعوا لله، لعلَّ الله يرفعكم.

قال سلام بن أبي مطيع:

كان قتادة يختِمُ القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان

ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كُلَّ ليلة.

عن عمر بنِ عبدالله، قال سعيد بن المسيب لقتادة: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

قال أحمد بن حنبل:

كان قتادة عالماً بالتفسير، وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ وأطنب في ذكره. وقال: قلما تجد من يتقدَّمه.

وعن سفيان الثوري، قال:

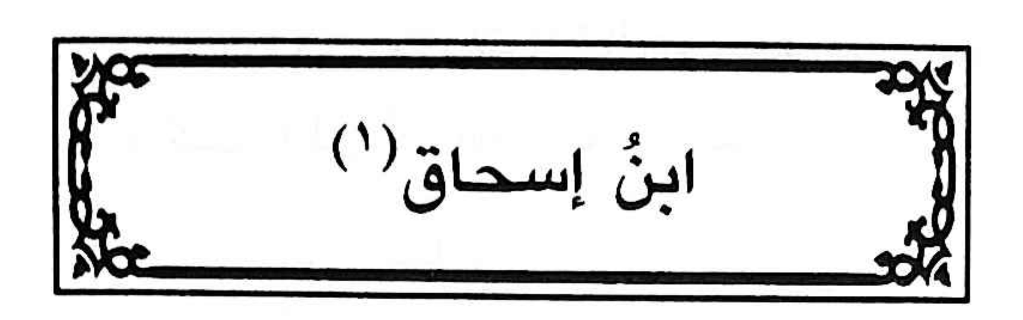
وهل كان في الدنيا مثلُ قتادة.

وقال الإمام أحمد:

كان قتادة أحفظَ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه، قُرِىءَ عليه صحيفةُ جابر مرةً واحدة فحفظِها.

وقد كان قتادة أيضاً رأساً في العربية والغريب وأيام العرب، وأنسابِها حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب النَّاس، ونقل القِفطي في «تاريخه» أن الرجلين من بني أمية كانا يختِلفان في البيت من الشعر، فيُبردان بريداً إلى العراق يسألان قتادة عنه.

تُوفي قتادة سنة ثماني عشرة ومئة.



ابنُ إسحاق[1]

محمدُ بنُ إسحاق بن يسار، **العلامةُ الحافظُ الأخباري أبو بكر وقيل: أبو عبدالله القرشي المُطَّلِبي مولاهم المدني، صاحبُ السِّيرة النبوية**.

كان جدُّه يسار من سبي عين التَّمْر[2] في دولة خليفة رسول الله ﷺ.

ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيدَ بن المُسَيِّب.

قال علي بن المديني:

مدارُ حديث رسول الله ﷺ على ستة فذكرهم ثم

---

(١) انظر السير: ٧/٣٣ ـ ٥٥.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له: شفاثا منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة (١٢) للهجرة وكان فتحها عنوة، فسبى نساءها، وقتل رجالها.

قال: فصار عِلمُ الستةِ عند اثني عشر، أحدهم: محمدُ بن إسحاق.

عن سفيان قال:

رأيتُ الزُّهري أتاهُ محمد بن إسحاق فاستَبْطَأه فقال له: أين كنت؟

قال: وهل يصل إليك أحد مع حاجبك؟

قال: فدعا حاجبه فقال له: لا تحجُبْه إذا جاء.

هارون بن معروف: سمعتُ أبا معاوية يقول:

كان ابن إسحاق من أحفظ الناس، فكان إذا كان عند الرجل خمسةُ أحاديث أو أكثر فاستَوْدَعها عند ابن إسحاق قال: احفظها عليَّ فإن نسيتها كنت قد حفظتها عَليَّ.

قلتُ: قد كان في المغازي علامةً.

ابن المَديني: سمعتُ سفيان وسُئِل عن ابن إسحاق: لِمَ لمْ يرو أهلُ المدينة عنه؟

فقال: جالستُ ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتَّهمه أحدٌ من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً.

فقلت له: كان ابن إسحاق يجالس فاطمة بنت المنذر؟

فقال: أخبرَني أنها حدثته وأنه دخل عليها.

قال محمد بن الذهبي[1]: هو صادق في ذلك بلا ريب.

يحيى بن سعيد يقول: سمعت هشام بن عروة يقول:

تحدَّث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله ما رآها قطُّ.

قلت: هشام صادق في يمينه فما رآها ولا زعم الرجل أنه رآها بل ذكر أنها حدثته، وقد سمعنا من عدة نسوة وما رأيتهن، وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة وما رأوا لها صورةً أبداً.

وقال مالك، وذكره فقال: دجال من الدجاجلة.

قال الخطيب: ذكر بعضُهم أن مالكاً عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصَّلاح والدِّيانة والثِّقة والأمانةِ.

قلت: كَلاً ما عابَهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك، وهو مثابٌ على ذلك وإنْ أخطأ اجتهاده، رحمة الله عليه.

---

(١) هو المؤلف نفسه، فإن أباه كان يلقب بالذهبي لأنه كان بارعاً في صنعة الذهب المدقوق.

عبدالله بن نافع قال:

كان ابن أبي ذئب وابن الماجِشُون وابن حازم وابن إسحاق يتكلمون في مالك.

وكان أشدهم فيه كلاماً محمد بن إسحاق كان يقول: ائتوني ببعض كتبه حتى أُبيِّن عيوبه، أنا بَيْطَارُ كُتُبه.

وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحدٍ من العلماء لأشياء منها: تشيُّعه، ونُسِبَ إلى القدَر، ويُدلِّس في حديثه، فأما الصِّدق فليس بمدفوع عنه.

قال البخاري: ولو صَحَّ عن مالك تناوُلُهُ من ابن إسحاق فَلَرُبَّما تَكَلَّمَ الإنسانُ فَيَرْمي صاحبَه بشيءٍ واحد ولا يتَّهِمُه في الأمور كلِّها.

قال: وقال إبراهيم بن المُنذر عن محمد بن فُلَيْح: نَهاني مالك عن شَيْخَين من قريش وقد أكثر عنهما في (الموطأ) وهما ممَّن يُحْتَجُّ بهما، ولم ينجُ كثير من الناس من كلام بعضِ النَّاس فيهم نحو ما يُذكَر عن إبراهيم من كلامه في الشَّعبي، وكلام الشَّعبي في عِكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العِرض والنَّفس ولم يلتفت أهلُ العلم في هذا النَّحو إلا بِبَيانٍ وحُجَّةٍ ولم تسقط عدالتُهم إلا بِبُرهان ثابتٍ وحُجَّةٍ، والكلامُ في هذا كثير.

قُلت: لسنا ندعي في أئمة الجرحِ والتعديل العصمةَ من الغَلطِ النَّادر، ولا من الكلامِ بنفَسٍ حادٍّ فيمن بينهم وبينَه شَحْناء وإحنة[1]، وقد عُلِم أنَّ كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مُهْدَرٌ لا عِبْرة به، ولا سيما إذا وثَّقَ الرَّجلَ جماعةٌ يلوحُ على قولهم الإنصافُ، وهذان الرجلان كلٌّ منهما قد نال من صاحبه لكن أثَّر كلامُ مالكٍ في محمد بَعْض اللين، ولم يؤثِّرْ كلام محمد فيه ولا ذَرَّة، وارتفع مالك، وصار كالنَّجم، والآخرُ فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السِّيَر، وأما في أحاديث الأحكام فَيَنْحَطُّ حديثُه فيها عن رُتبة الصِّحةِ إلى رُتبة الحسن إلا فيما شذَّ فيه فإنه يُعدُّ مُنكراً.

هذا الذي عندي في حاله والله أعلم.

قال أبو زُرْعةَ الدِّمشقي:

ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكُبَراءُ من أهل العلم على الأخذ عنه، منهم سفيان، وشُعبة، وابن عُيَيْنة، والحمادان، وابنُ المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من القدماء يزيدُ بن أبي حبيب وقد اختبرهُ أهل الحديث فرأوا صِدقاً وخَيراً مع مدح ابن شهاب له، وقد

---

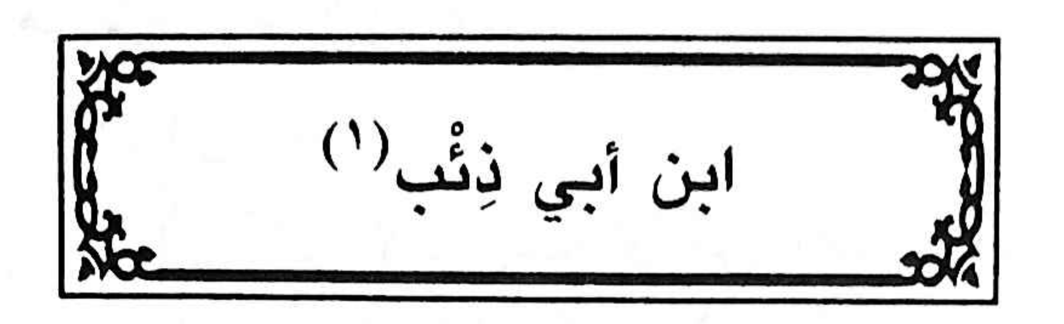
(١) الإحنة: الحقد في الصدر.

ذاكرتُ دُحَيماً قول مالك فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتُّهم بالقَدَر.

وقال ابن عدي:

ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوكَ عن الاشتغال بكتبٍ لا يحصُلُ منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثِه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلةً سَبق بها، ثم من بعده صنَّفَها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتَّشتُ أحاديثهُ كثيراً فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يُقطع عليه بالضَّعف، وربما أخطأ، أو يَهِم في الشيء بعد الشيء كما يُخطىء غيرهُ، ولم يتخلَّف في الرِّواية عنه الثقاتُ والأئمة، وهو لا بأس به.

مات ابن إسحاق سنة خمسين ومئة.



ابن أبي ذِئْب[1]

محمد بن عبدالرحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، واسم أبي ذئب: هشام بن شُعبة، الإمامُ شيخُ الإسلام أبو الحارث القُرشي العامري المَدَني الفقيه.

قال أحمد بن حنبل:

كان يُشبَّه بسعيد بن المُسيِّب.

فقيل لأحمد: خَلَّف مثله؟ قال: لا.

ثم قال: كان أفضلَ من مالك، إلا أن مالكاً ـ رحمه الله ـ أشدُّ تنقية للرجال منه.

قلت: وهو أقدمُ لُقيا للكبار مِن مالك، ولكن مالكاً أوسعُ دائرة في العلم، والفُتْيا، والحديث، والإتقان منه بكثير.

(١) انظر السير: ٧/١٣٩ ـ ١٤٩.

قال الواقدي تلميذه:

وكان يُصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له: إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مَزِيْدٌ من الاجتهاد.

أخبرني أخوه قال:

كان أخي يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً، ثم سرد الصَّوم، وكان شديد الحال، يتعشَّى الخبز والزَّيت، وله قميص وطَيْلَسَان، يشتو فيه ويصيف.

قال: وكان من رجال النَّاس صرامةً وقولاً بالحق، وكان يحفظ حديثَه، لم يكن له كتاب، وكان يروح إلى الجمعة باكراً، فيُصلي إلى أن يخرج الإمامُ. ورأيتُه يأتي دار أجداده عند الصَّفا فيأخذ كِراءَها، وكان لا يُغيِّر شيبَه.

وفي «مسند» الشافعي سماعَنا أخبرني أبو حنيفة بن سِماك، حدثني ابن أبي ذئب عن المَقْبري عن أبي شُريح أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قُتِل لهُ قَتِيل فهو بخير النَّظَرَين: إن أَحَب أَخَذ العَقلَ، وإن أحب فلهُ القَوَدُ**».

قُلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟

فضربَ صدري، وصاح كثيراً، ونال مني، وقال: أُحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به، نعم آخذ

به، وذلك الفرض عليَّ، وعلَى كل من سمعه. إن الله اختار محمداً ﷺ من الناس فهدَاهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتَّبعوه طائعين أو داخِرين، لا مخرج لمسلم من ذلك.

قال أحمد بن حنبل:

بلغ ابن أبي ذئب أن مالكاً لم يأخذ بحديث: «**البَيِّعَان بالخِيَارِ**» فقال: «يُستتابُ، فإن تابَ، وإلا ضُربت عنقُه». ثم قال أحمد: هو أورعُ وأقْولُ بالحق من مالك.

قلت: لو كان وَرِعاً كما ينبغي لما قال هذا الكلامَ القبيحَ في حقّ إمام عظيم. فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث، لأنه رآه منسوخاً.

وقيل: عمل به وحَمَل قوله: «**حَتَّى يَتَفَرَّقَا**» على التلفظ بالإيجاب والقَبول، فمالكٌ في هذا الحديث، وفي كلِّ حديث له أجرٌ ولا بدَّ، فإنْ أصاب، ازداد أجراً آخر، وإنَّما يرى السَّيف على من أخطأ في اجتهاده الحروريَّةُ[1].

---

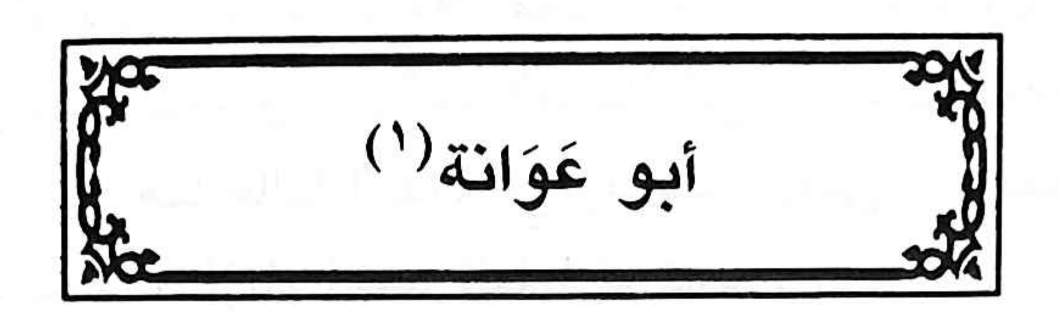
(١) الحروريةُ: هم الخوارج، ونسبتهم هذه إلى: حروراء، وهو موضع بظاهر الكوفة وبه كان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً ـ رضي الله عنه ـ وخرجوا عليه.

وبكل حال فكلامُ الأقران بعضهم في بعض لا يُعَوَّل على كثير منه، فلا نَقَصَت جلالةُ مالك بقولِ ابن أبي ذئب فيه، ولا ضَعَّف العلماءُ ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة في زمانهما ـ رضي الله عنهما ـ ولم يسندها الإمام أحمد فلعلها لم تصح.

قال أحمد بن حنبل:

ابن أبي ذئب ثقة، قد دخل على أبي جعفر المنصور فلم يَهُلْهُ أن قال له الحق، وقال: الظُّلم ببابك فاشٍ، وأبو جعفر أبو جعفر.

قدِم ابن أبي ذئب بغداد، فحملوا عنه العلم، وأجازه المهدي بذهب جيِّد، ثم رُدَّ إلى بلاده، فأدركه الأجَل بالكوفة، غريب، وذاك في سنة تسع وخمسين ومئة.



أبو عَوَانة[1]

هو الإمام الحافظ الثَّبت، محدِّثُ البصرة، الوضَّاح بنُ عبدالله، مولى يزيدَ بنِ عطاء اليَشكُري، الواسطي، البزَّاز.

كان الوضَّاح من سبي جُرجَان، مولده: سنة نَيِّف وتسعين.

قال الحافظ ابنُ عدي: كان مولاه يزيد قد خيَّره بين الحرية، وكتابةِ الحديث، فاختارَ كِتابة الحديث. وفوَّض إليه مولاه التجارة، فجاءه سائل، فقال: أعطني درهمين، فإني أنفعُك، فأعطاه، فدار السَّائلُ على رؤساء البَصرة، وقال: بكِّروا على يزيدَ بنِ عطاء، فإنه قد أعتق أبا عَوانة. قال: فاجتمعوا إلى يزيد، وهنؤوه، فَأَنِفَ من أن يُنكِرَ ذلك، فأعتقه حقيقةً.

---

(١) انظر السير: ٨/٢١٧ ـ ٢٢٢.

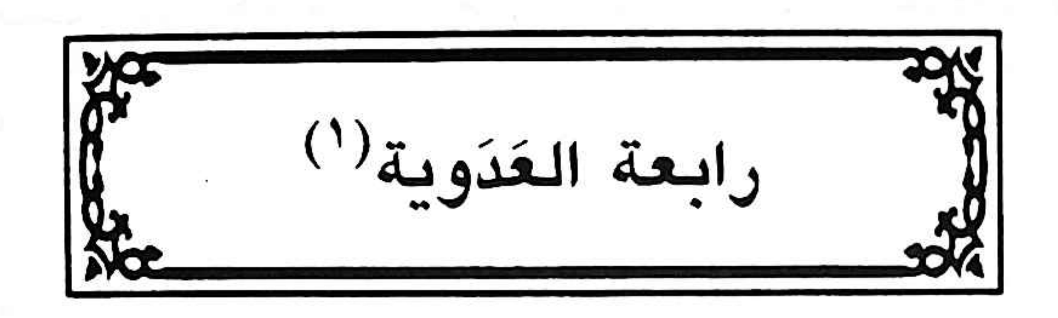
وروى أبو عمر الضَّرير، عن أبي عَوانة، قال: دخلتُ على هَمَّامِ بنِ يحيى وهو مريض، أعودُه، فقال لي:

يا أبا عوانة، ادعُ الله أن لا يُميتَني حتى يبلغَ ولدي الصِّغار. فقلت: إن الأجَل قد فُرِغَ منه.

فقال لي: أنتَ بعدُ في ضلالك.

قلتُ: بئس المقالُ هذا، بل كلُّ شيء بقَدرٍ سابقٍ، ولكن وإن كان الأجلُ قد فُرِغَ منه، فإنَّ الدُّعاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسول ﷺ لخادِمه أنس بطول العمر، والله يمحو ما يشاءُ ويُثبِتُ. فقد يكونُ طولُ العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب، كما أنَّ طيرانَ العمر قد يكون بأسباب جعلها من جَوْر وعسف، و«لا يَرُدُّ القضَاءَ إلا الدُّعاءُ». والكتاب الأول فلا يتغيَّر.

مات في سنة ست وسبعين ومئة بالبصرة.



رابعة العَدَوية[1]

البصريةُ، الزاهدةُ، العابدةُ، الخاشعةُ، أم عمرو، رابعة بنتُ إسماعيل.

قال خالد بن خِدَاش:

سَمِعتُ رابعةَ صالحاً المُرِّيَّ يَذكرُ الدنيا في قصصه، فنادته: يا صالح، مَن أَحبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكْرِه.

بِشْرُ بن صالح العَتكي، قال:

استأذن ناسٌ على رابعة ومعهم سُفيان الثَّوريّ، فتذاكروا عندها ساعةً، وذكروا شيئاً مِن الدنيا، فلما قاموا قالت لخادمتها: إذا جاء هذا الشيخُ وأصحابُهُ فلا تأذني لَهم، فإني رأيتُهم يُحبُّون الدنيا.

عُبيس بن ميمون العطَّار:

حدثتني عَبدة بنت أبي شَوَّال، وكانت تخدمُ رابعةَ العَدوية، قالت:

---

(١) انظر السير: ٨/٢٤١ ـ ٢٤٣.

كانت رابعة تُصلي الليل كُلَّه، فإذا طَلَعَ الفجر هجعت هَجْعَةً حتى يُسِفَر الفجرُ فكنتُ أسمعُها تقول: يا نَفسُ كم تنامِينَ، وإلى كم تقومين، يُوشِكُ أن تنامي نَومةً لا تقومينَ منها إلا لِيَوم النُّشور.

قال جعفر بن سُليمان:

دخلتُ مع الثوريِّ على رابعة، فقال سفيانُ: واحزناه.

فقالت: لا تكذب، قل: واقِلَّة حُزناه.

قال أبو سعيد بن الأعرابي:

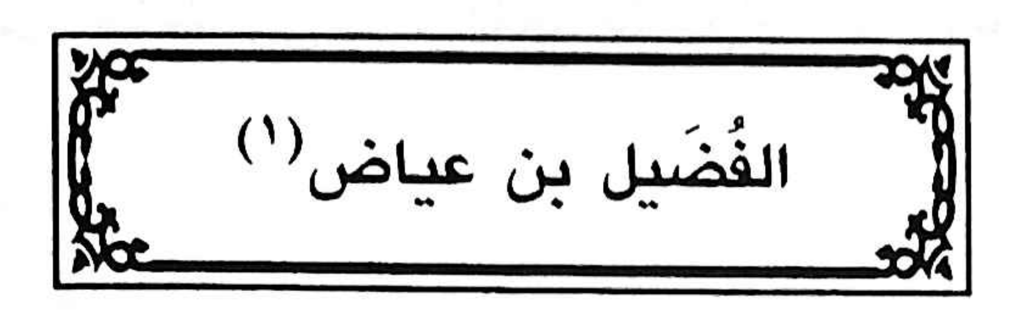
أما رابعةُ، فقد حَمل الناسُ عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سُفيان وشُعبة وغيرهما ما يدلُّ على بُطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ في الفُؤَادِ مُحَدِّثي
وأبحَتُ جِسمِي مَن أَراد جُلوسي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قلتُ: فهذا غُلوٌّ وجهلٌ، ولعل مَن نَسبها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتجَّ بها على كُفره كاحتجاجهم بخبر: «كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ».

توفيت سنة ثمانين ومائة.



الفُضَيل بن عياض[1]

ابن مسعود، الإمامُ القدوة الثَّبتُ، شيخُ الإسلام، أبو علي التميمي اليَربوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله.

وُلد بِسَمرقَند، ونشأ بأَبِيوَرْدَ، وارتحل في طلب العلم.

عن الفضل بن موسى، قال:

كان الفُضيل بن عياض شاطراً يقطعُ الطريقَ بين أَبِيوَرْد وسَرخس، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] فلما سَمِعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبحَ فإن فُضَيلاً على الطريق يقطعُ علينا.

---

(١) انظر السير: ٨/٤٢١ ـ ٤٤٢.

قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى اللَّهَ ساقني إليهم إلا لأرتدعَ، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورةَ البيت الحرام.

وقال أبو وَهب محمد بن مُزاحم: سمعتُ ابن المبارك يقول:

رأيتُ أعبدَ الناس عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد، وأورعَ الناس الفُضيلَ بن عياض، وأعلمَ الناس سفيان الثوري، وأفقه الناس أبا حنيفة، ما رأيتُ في الفقه مِثْلَه.

وروى أحمد بن أبي الحَوَاري عن الهَيثم بن جميلٍ، سمعتُ شَريكاً يقول:

لم يزل لكلِّ قوم حجةٌ في أهل زمانهم، وإن فضيلَ بن عِياض حجةٌ لأهل زمانه، فقام فتى من مجلس الهيثم، فلما توارى، قال الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجةً لأهل زمانه.

قيل: من كان الفتى؟ قال: أحمد بن حنبل.

وقال إبراهيم بن الأشعث:

ما رأيتُ أحداً كان اللَّهُ في صدره أعظمَ من

الفضيل، كان إذا ذَكر الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمَه من يحضرُه، وكان دائمَ الحزن، شديدَ الفكرة، ما رأيتُ رجلاً يُريد الله بعلمه وعمله، وأَخْذه وعطائِه، ومنعِه وبذله، وبُغضِه وحبه، وخصالِه كلِّها، غيرَه. كنا إذا خرجنا معه في جِنازة لا يزال يَعِظُ، ويذكُر ويبكي كأنه مودِّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلُغَ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقومَ وكأنَّه رجع من الآخرة يخبر عنها.

وقال عبدالصَّمد بن يزيد مردويه: سمعتُ الفضيلَ يقول:

لم يتزيَّنِ الناسُ بشيء أفضلَ مِن الصدق، وطلبِ الحلال.

فقال ابنه علي: يا أبةِ إنَّ الحلالَ عزيز.

قال: يا بني، وإنّ قليلَه عند الله كثير.

قال سَري بن المُغَلِّس: سمعتُ الفُضيل يقول: مَنْ خاف اللَّهَ لم يضرَّه أحدٌ، ومن خَاف غيرَ الله، لم ينفعه أحد.

قال الفضيل:

بَـلَـغـتُ الـثَّـمـانِـيـنَ أوْ جُـزتُـهـا
فَـمَـاذا أُؤَمِّـلُ أو أنـتَـظِـرْ

عَـلَـتْـنـي الـسِّـنُـونُ فَـأَبْـلَـيْـنـني
فَـدَقَّ الـعِـظَـامُ وكَـلَّ الـبَـصَـرْ

قلتُ: هو من أقران سُفيان بن عيينة في المولد، ولكنه مات قبله بسنوات.

مات الفضيل سنة ست وثمانين ومئة، وله نيف وثمانون سنة.

وهو حجَّةٌ كبير القدر. ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خَيْثمة:

سمعت قُطبة بن العَلاء يقول: تركتُ حديث فُضيل بن عياض، لأنه روى أحاديثَ أزْرى على عثمانَ بن عفانَ.

قلتُ: فلا نسمعُ قولَ قُطْبة، ليته اشتغل بحاله، فقد قال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي وغيره: ضعيف. وأيضاً فالرجلُ[1] صاحب سنّة واتّباع.

---

(١) أي الفضيل.

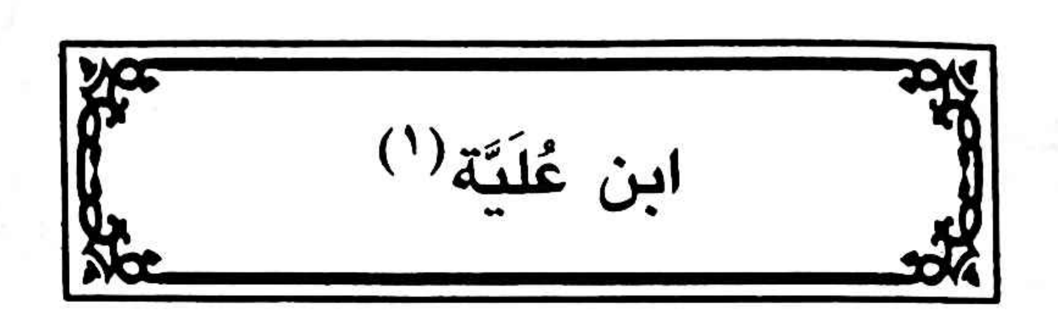
قال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا عبدالصمد بن يزيد الصائغ، قال:

ذُكر عند الفُضيل ـ وأنا أسمع ـ الصحابةُ، فقال: اتَّبِعوا فقد كُفيتم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضي الله عنهم.

قلتُ: إذا كان مثل كبراءِ السابقين الأولين قد تكلَّم فيهم الروافِضُ والخوارجُ، ومثلُ الفضيل يُتكلَّمُ فيه، فمن الذي يَسلمُ من ألسِنَةِ النَّاس، لكن إذا ثبتت إمامةُ الرجل وفضلُه، لم يَضُرَّه ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مُفتَقِر إلى وزن بالعدل والورع.

وأما قولُ ابن مَهْدي: لم يكن بالحافظ، فمعناه: لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور، كشُعبة، ومالك، وسفيان، وحمَّاد، وابنِ المبارك، ونظرائهم، لكنه ثبتٌ قَيِّم بما نقل، ما أُخذ عليه في حديث فيما علمت.

وهل يُراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيلُ رحمة الله عليه.



ابن عُلَيَّة[1]

إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم، الإمام، العلاَّمةُ، الحافظُ الثَّبت، أبو بِشْر الأَسَدي، مولاهم البَصْريُّ الكوفيُّ الأصل، المشهورُ بابنِ عُلَيَّة، وهي أُمُّه.

وُلد سنةَ مات الحسنُ البصري، سنة عشر ومئة.

وكان فقيهاً، إماماً، مُفتياً، من أئمة الحديث، وكان يقول: من قال: ابن عُلَيَّة، فقد اغتابني.

قلتُ: هذا سوءُ خلقٍ رحمه الله، شيءٌ قد غلب عليه، فما الحيلة؟ قد دعا النبي ﷺ غيرَ واحدٍ من الصحابة بأسمائهم مُضافاً إلى الأم، الزُبَير ابن صَفِيَّة، وعمَّار ابن سُمَيَّة.

وقال عَمرو بنُ زرارة النَّيسابوري:

---

(١) انظر السير: ٩/١٠٧ ـ ١٢٠.

صحبتُ ابنَ عُلَيَّة أربع عشرة سنة، فما رأيتُهُ تبسَّم فيها.

قلتُ: ما في هذا مدح، ولكنه مُؤذِن بخشيةٍ وحُزن.

قال حمَّادُ بنُ سلمة:

ما كنا نُشَبِّه شمائل إسماعيل بن عُلَيَّة إلا بشمائل يونُس حتى دخل فيما دخل فيه.

قلتُ: يُريدُ وِلايَتَهُ الصَّدقة، وكان موصوفاً بالدِّين والوَرَع والتَّألُّه، منظوراً إليه في الفضلِ والعلم، وبدَتْ منه هفواتٌ خفيفة، لم تُغير رُتبَتَهُ إن شاء الله.

دخل على الأمين محمدِ بنِ هارون، فشتمه محمد، فقال: أخطأتُ، وكان حدث بهذا الحديث: **«تجيءُ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان تحاجّان عن صاحبهما»** فقيل لابن عُلَيَّة: ألهما لسان؟ قال: نعم: فقالوا: إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنما غلط.

قال الإمامُ أحمدُ: بلغني أنه أُدخِلَ على الأمين، فلما رآه، زحفَ وجعل يقول: يا ابنَ الفاعلة تتكلَّم في القرآن؟ وجعل إسماعيلُ يقول: جعلني الله فداك، زَلَّةٌ من عالم، ثم قال أحمدُ: إنْ يغفرِ اللَّهُ له - يعني الأمين - فبها. ثم قال أحمد: وإسماعيلُ ثَبْت.

قال الفضلُ بنُ زياد:

يا أبا عبدالله، إنَّ عبدَالوهَّاب قال: لا يحبُّ قلبي إسماعيلَ أبداً، لقد رأيتُهُ في المنام كأنَّ وجهَه أسود. فقال أحمد: عافى الله عبدَالوهَّاب، ثم قال: لزمتُ إسماعيلَ عشر سنين إلى أن أُعيب، ثم جعل يُحرِّكُ رأسَهُ كأنَّهُ يتلهَّفُ. ثم قال: وكان لا يُنْصِفُ في التَّحَدُّث[1].

قُلت: توفي إسماعيلُ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة.

عن شُعبةَ قال: ابنُ عُلَيَّة رَيْحانةُ الفُقهاء.

قال سهلُ بنُ شاذويه، سمعتُ عليَّ بن خَشْرم يقُولُ: قلتُ لوكيع: رأيتُ إسماعيل ابنَ عُلَيَّة يَشْرَبُ النَّبيذَ حتى يُحمَلَ على الحمار، يحتاجُ مَنْ يردُّه إلى منزله! فقال وكيعٌ: إذا رأيتَ البصريَّ يشربُ، فاتَّهِمهُ.

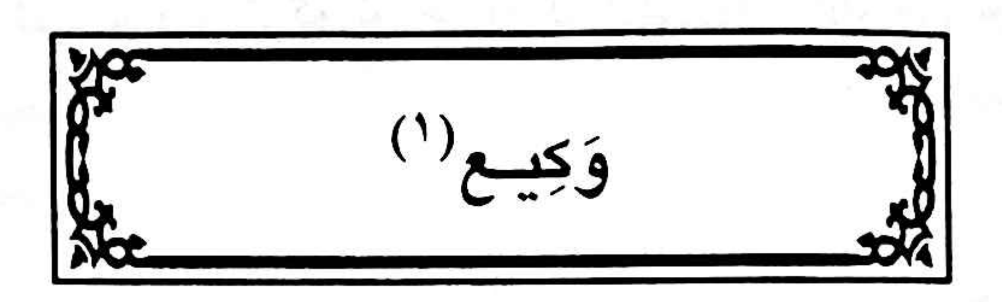
---

(١) ذكره المؤلف في «الميزان» وتعقبه بقوله: إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب، فكان ماذا؟ إني أخاف الله لا يكون ذكرنا له من الغيبة، وأما القرآن، فقد قال عبدالصمد بن يزيد مردويه: سمعت ابن عليَّة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قلتُ: وكيف؟ قال: إنَّ الكوفيَّ يَشرَبُهُ تَدَيُّناً، والبصريّ يتركه تدَيُّناً.

وهذه حكايةٌ غريبةٌ، ما علمنا أحداً غَمَزَ إسماعيلَ بشُرب المُسكر قط، وقد انحرف بعضُ الحُفَّاظ عنه بلا حُجَّة، حتى إنَّ منصورَ بن سَلَمَة الخُزاعي تحدَّث مرَّةً، فسبقَه لسانُه، فقال: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عُليَّة، ثم قال: لا، ولا كرامة، بل أردتُ زُهيراً. وقال: ليس مَنْ قارفَ الذَّنبَ كمن لم يُقارِفْه، أنا والله استَتَبْتُه.

قلتُ: يُشير إلى تلك الهَفْوة الصغيرة، وهذا من الجرح المردود، وقد اتفق علماءُ الأُمَّةِ على الاحتجاج بإسماعيلَ بنِ إبراهيم العَدْلِ المأمون، وقد قال عبدُالصَّمد بنُ يزيد مَرْدَوَيْه: سمعتُ إسماعيلَ بن عُلَيَّة يقول: القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق.



وَكِيع (١)

ابن الجرَّاح، ابن مَليح، الإمامُ الحافظُ، محدِّث العِراق، أبو سُفيانَ الرُّؤاسي، الكوفيُّ، أحدُ الأعلام.

وُلد سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة.

وكان من بُحور العلم وأئمة الحفظ.

الفضلُ بن محمد الشَّعراني: سمعتُ يحيى بن أَكْثَم يقول: صَحِبْتُ وكيعاً في الحَضَرِ والسَّفَرِ، وكان يَصومُ الدَّهْرَ، ويَخْتِمُ القرآن كُلَّ ليلة.

قلتُ: هذه عبادةٌ يخضعُ لها. ولكنَّها من مثلِ إمام من الأئمةِ الأثَرية مفضُولَةٌ، قد صحَّ نهيهُ عليه السَّلامَ عن صَوم الدَّهر، وصحَّ أنَّه نهىٰ أن يُقرأ القرآنُ في أقلَّ من ثلاثَ، والدين يُسرٌ، ومتابعةُ السُّنَّة أولى، فرضيَ الله عن وكيع، وأين مثلُ وكيع؟! ومعَ هذا كان مُلازِماً

---

(١) انظر السير: ٩/١٤٠ ـ ١٦٨.

لشُربِ نبيذِ الكوفة الذي يُسِكرُ الإكثارُ منه فكان مُتأولاً في شُربه، ولو تركه تورُّعاً لكان أولىٰ به، فإِنَّ مَنْ تَوَقَّى الشُّبهات فقد استبرأَ لدينِه وعِرْضِه، وقد صَحَّ النهيُ والتحريمُ للنَّبيذِ المذكور.

وليس هذا موضعَ هذه الأُمور، وكلُّ أحدٍ يُؤْخَذُ من قوله ويُتركُ، فلا قُدوةَ في خطأ العالِم، نَعَم، ولا يُوَبَّخُ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المُسَامحة.

قال يحيى بن مَعين:

وكيعٌ في زمانه كالأوزاعيِّ في زمانه.

قلتُ: كان أحمدُ يُعظِّمُ وكيعاً ويُفَخِّمُه.

قال محمدُ بنُ عامر المِصِّيصِي: سألتُ أحمد: وكيعٌ أَحَبُّ إليك أو يَحيى بنُ سَعيد؟

فقال: وكيع.

قلتُ: كيف فَضَّلْتَه على يحيى، ويحيى ومكانه من العلمِ، والحفظِ والإِتْقانِ ما قد علمتَ؟

قال: وكيعٌ كان صديقاً لحفص بنِ غِيَاث، فلمَّا وَلِيَ القضاءَ، هَجَرَهُ، وإنَّ يحيى كان صديقاً لمعاذ بنِ مُعاذ، فلما وَلِيَ القَضاءَ، لم يَهْجُرْهُ يحيى.

وقال محمدُ بنُ علي الوَرَّاق:

عُرض القضاءُ على وكيع فامتنع.

محمد بن سَلاَم البِيكَنْدِيّ: سمعتُ وكيعاً يقولُ: مَنْ طلبَ الحديثَ كما جاء فهو صاحبُ سُنَّة، ومن طلبه ليُقَوِّيَ به رأيَه فهو صاحبُ بِدْعَة.

وقال بِشْرُ بنُ موسى: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ:

ما رأيت قطُّ مثْلَ وكيعٍ في العِلم والحفظِ والإِسنادِ والأبوابِ مع خشوعٍ ووَرَع.

قلتُ: يقولُ هذا أحمدُ مع تَحرِّيه وورعه. وقد شاهد الكِبار مثل هُشَيم، وابن عُيَيْنَة، ويحيى القَطَّان، وأبي يوسف القاضي وأمثالِهم.

يحيى بنُ أيوب: حدَّثني بعضُ أصحاب وكيعٍ الَّذين كانوا يَلزَمُونه أَنَّ وكيعاً كان لا ينامُ حتى يقرأ جُزْءَه من كُلِّ ليلةٍ ثُلُثَ القرآن، ثُم يقُومُ في آخر اللَّيل، فيقرأُ المُفَصَّل، ثم يَجلسُ، فيأخُذُ في الاستغفار حتى يطلعَ الفَجر.

قال عليُّ بن خَشْرم:

ما رأيتُ بيد وكيع كتاباً قطُّ، إنما هو حِفظٌ، فسألتُهُ عن أدوية الحِفظِ: فقال: إن علَّمتُك الدواءَ استعملتَه؟

قلتُ: إِي واللَّهِ.

قال: تركُ المعاصي ما جَرَّبتُ مثلَه للحفظ.

سُئل أبو داود: أيُّما أحفظُ وكيعٌ أو عبدالرحمٰن بن مَهْدي؟

قال: وكيعٌ أحفظ، وعبدالرحمٰن أتقنُ، وقد التقيا بعد العشاء في المسجد الحرام، فتواقفا حتى سمعا أذانَ الصُبح.

قال يعقوب الفَسَويُّ ـ وبلغه قولُ يحيى: مَنْ فَضَّلَ عبدَالرحمٰن على وكيع فعليه اللعنة ـ:

كان غيرُ هذا أشبهَ بكلامِ أهل العلم، ومَنْ حاسَبَ نفسه لم يقُلْ مثلَ هذا، وكيعٌ خَيِّرٌ فاضِلٌ حافظ.

قال حنبلُ بن إسحاق: سمعتُ ابنَ مَعين يقولُ: رأيتُ عند مَروان بنِ مُعاوية لوحاً فيه أسماءُ شيوخ: فلان رافضي، وفلان كذا، ووكيع رافضي، فقلتُ لمروان:

وكيعٌ خيرٌ منك.

قال: مني؟

قلتُ: نعم. فسكتَ، ولو قال لي شيئاً، لوثب أصحابُ الحديث عليه.

قال: فبلغَ ذلك وكيعاً، فقال: يحيى صاحبُنا، وكان بعد ذلك يَعرِفُ لي، ويرُحِّب.

والظَّاهر أنَّ وكيعاً فيه تَشيُّعٌ يسير لا يضرُّ إن شاء الله، فإنه كوفيٌّ في الجملة، وقد صنَّف كِتاب فضائل الصحابة، سمعناه، قدَّم فيه باب مناقب عليٍّ على مناقب عُثمان، رضي الله عنهما.

قال الحُسينُ بنُ محمد بن عُفَير: حدَّثنا أحمدُ بنُ سِنان قال: كان عبدُالرحمٰن بن مَهْدي لا يُتَحدَّثُ في مجلسه، ولا يقومُ أحدٌ، ولا يُبرى فيه قلمٌ، ولا يبتسم أحد، وكان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل، وكان ابنُ نُمير يغضب ويصيح وإن رأى من يبري قلماً، تغير وجهه غضباً.

وقال عليُّ بنُ المديني:

كان وكيع يَلْحَنُ، ولو حدثتُ عنه بألفاظه، لكانت عجباً، كان يقولُ: حدَّثنا مِسْعَر عن «عيشة».

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ: سمعتُ أحمد يقولُ:

ما رأتْ عَيْنَايَ مثلَ وكيعٍ قطُّ، يحفَظُ الحديثَ جيداً، ويُذاكِرُ الفِقه، فيحُسِنُ مع ورعٍ واجتهادٍ، ولا يتكَلَّمُ في أحد.

قال سَلْمُ بنُ جُنادَة:

جالستُ وكيعاً سبع سنين، فما رأيتُهُ بَزَق، ولا مسَّ حصاةً، ولا جلس مجلِساً فتحرَّك، وما رأيتُهُ إلا مستقبلَ القبلة، وما رأيتُهُ يحلِفُ بالله.

وروي عن وكيع أنَّ رجلاً أغلَظَ له، فدخل بيتاً، فعَفَّر وجههُ ثم خرجَ إلى الرجل، فقال: زِدْ وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سُلِّطْتَ عليه.

قال مروانُ بنُ محمد الطَّاطَرِيّ:

ما رأيت فيمن رأيت أخشعَ من وكيع، وما وُصِفَ لي أحدٌ قطُّ إلا رأيتُهُ دون الصِّفة إلا وكيعًا، رأيتُه فوقَ ما وُصفَ لي.

قال سعيد بنُ منصور:

قدِمَ وكيعٌ مكَّة سَميناً، فقال له الفُضيلُ بنُ عِياض: ما هذا السِّمَنُ، وأنت راهبُ العراق؟

قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

وقال إسحاقُ بنُ راهَوَيه:

حِفظي وحِفظُ ابنِ المبارك تَكَلُّف، وحِفظُ وكيعٍ أصْلي، قام وكيعٌ، فاستند، وحدَّث بسبع مئة حديث حفظاً.

أبو زُرعةَ الرَّازي: سمعتُ أبا جعفرِ الجمَّال يقولُ:

أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة، وعليه ثيابٌ مَغْسولة، فلما بَصُرْنا به، فزِعنا من النور الذي رأيناهُ يَتَلألأ من وجهه، فقال رجلٌ بجنبي: أهذا مَلَك؟!
فتعجَّبنا من ذلك النور.

وقال أحمدُ بنُ سِنان: رأيتُ وكيعاً إذا قام في الصَّلاة ليس يَتَحرَّكُ منه شيء، لا يزولُ ولا يَميلُ على رِجْلٍ دون الأخرى.

قال الفلاَّسُ: ما سمعتُ وكيعاً ذاكِراً أحداً بِسوءٍ قطُّ.

قلتُ: مع إمامته، كلامُه نزْرٌ جداً في الرِّجال.

قلتُ: أصحُّ إسنادٍ بالعراق وغيرها: أحمد بن حنبل، عن وكيع، عن سُفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَلْقَمة، عن عبدِالله، عن النبي ﷺ، وفي «المُسْنَد» بهذا السند عِدَّةُ مُتُون.

علي بن خَشْرَم: سمعتُ وكيعاً يقولُ:

لا يكْمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عمنَّ هو فوقَه وعمَّن هو مِثْله، وعمن هو دونَه.

محنة وكيع - وهي غريبة - تورَّطَ فيها ولم يُرِدْ إلا خيراً، ولكن فاتتهُ سكتَةٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**كفى بالمَرْءِ إثماً أَنْ يُحَدِّثَ بكل ما سَمِعَ**» فليَّتقِ عبدٌ ربَّهُ، ولا يخَافَنَّ إلا ذَنْبَه:

قال عليُّ بنُ خَشْرم: حدَّثنا وكيعٌ عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البَهيِّ، أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق جاءَ إلى النبيِّ ﷺ بعد وفاته، فأكبَّ عليه، فقَبَّله، وقال: (بأبي وأُمِّي، ما أَطْيَبَ حياتَكَ وميتَتَك)، ثم قال البهيُّ: وكان تُرِكَ يوماً وليلةً حتى رَبَا بَطْنُه، وانثَنَتْ خِنْصِرَاهُ، قال ابنُ خَشْرم: فلما حدَّث وكيعٌ بهذا بمكَّة، اجتمعت قريش، وأرادوا صَلْبَ وكيع، ونصبُوا خَشَبةً لِصَلبِه، فجاء سُفيانُ بنُ عُيَيْنَة، فقالَ لهم: اللَّهَ اللَّهَ! هذا فقيهُ أهل العِراق، وابنُ فقيهه، وهذا حديثٌ معروفٌ. قال سُفيان: ولم أكن سَمعتُه إلا أَني أردتُ تخليص وكيع.

قال عليُّ بن خَشْرم: سمعتُ الحديثَ من وكيع، بعدما أرادُوا صَلبه فتعجبتُ من جَسَارتِهِ، وأُخبرتُ أَنَّ وكيعاً احتجَّ، فقال: إنَّ عِدَّةً من أصحابِ رسول الله ﷺ منهم عُمر قالوا: لم يَمُتْ رسول الله. فأرادَ الله أن يُرِيَهُم آيةَ الموت.

فهذه زَلَّةُ عَالِم، فما لوكيع ولرواية هذا الخَبَرِ المُنكرِ المُنْقَطعِ الإِسْنادِ! كادت نفْسُه أن تذهبَ غلطاً،

والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنَّهم تَخَيَّلوا من إشاعةِ هذا الخبر المردود غَضًا ما لمنصب النُبوَّة، وهو في بادىء الرَّأيِ يُوهِمُ ذلك، ولكن إذا تأمَّلتَه فلا بأسَ إنْ شاء اللَّهُ بذلك، فإن الحيَّ قد يربو جوفهُ، وتسترخي مفَاصِلُه، وذلك تفرُّع من الأمراض، و«أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنبياء»، وإنَّما المحذورُ أن تُجوِّز عليه تَغَيُّر سائرِ موتى الآدميين ورائحتهم، وأكلَ الأرضِ لأجسامِهم، والنبيُّ ﷺ فمُفَارق لسائرِ أُمَّته في ذلك، فلا يَبْلى، ولا تأكُلُ الأرضُ جَسَدَه، ولا يتغيَّر ريحُه، بل هو الآن، وما زال أطيبَ ريحاً من المِسْك، وهو حيٌّ في لحده حياةَ مثلِهِ في البَرْزخ، التي هي أكملُ من حياة سائر النَّبيين، وحياتُهم بلا ريب أتَمُّ وأشرفُ من حياةِ الشُّهداء الذين هم بِنص الكتاب ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهؤلاء حياتُهم الآن التي في عالم البَرْزخِ حقٌّ، ولكن ليست هي حياةَ الدنيا من كلِّ وَجهٍ، ولا حياةَ أهلِ الجنة من كُلِّ وَجْهٍ، ولهم شِبْهٌ بحياة أهلِ الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدمُ وموسى، لمَّا احتجَّ عليه موسى، وحجَّه آدمُ بالعلم السابق كان اجتماعُهما حَقًّا، وهما في عالم البَرْزخِ، وكذلك نبيُّنا ﷺ أخبر أنَّه رأى في السماواتِ آدم وموسى وإبراهيمَ وإدريس وعيسى، وسَلَّم عليهم، وطالت محاوَرَاتُه مع موسى، هذا كُلُّه حق. والذي منهم لم يَذُقِ الموتَ بَعْدُ

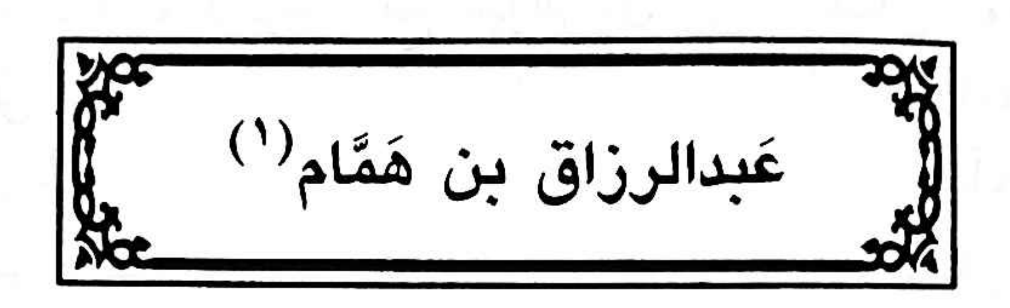
هو عيسى عليه السلام، فقد تبرهنَ لك أنَّ نبينا ﷺ ما زال طيّباً مُطَيّباً، وأنَّ الأرضَ مُحرَّمٌ عليها أكلُ أجسادِ الأنبياء، وهذا شيءٌ سبيلُهُ التوقيف، وما عنَّف النبيُّ ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علم: وكيف تُعرضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرَمْتَ؟ - يعني: بَليتَ - فقال: «**إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ على الأَرْضِ أن تَأْكُلَ أَجْسادَ الأَنْبياء**».

وهذا بحثٌ مُعترِضٌ في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثلُ إمامَ الحِجاز سُفيان بن عُيينة، ولولا أنَّ هذه الواقعةَ في عَدَّةِ كُتُبٍ، وفي مثل «تاريخ الحافظ ابن عساكر» وفي «كامل الحافظ ابن عدي» لأعرضتُ عنها جملةً، ففيها عِبرة.

قال عليُّ بن عثَّام: مرضَ وكيعٌ، فدخلنا عليه، فقال: إنَّ سُفيان أتاني، فبشَّرني بجواره، فأنا مُبادِرٌ إليه.

مات وكيعٌ سنة سبعٍ وتسعين ومئة يوم عاشوراء.

قلتُ: عاش ثمانياً وستين سنة سوى شهرٍ أو شهرين.



عَبدالرزاق بن هَمَّام[1]

ابـنِ نـافـع، الـحـافـظ، عـالـمُ الـيَـمـن، أبـو بـكـر الحِميري، مولاهم الصَّنعانيُ الثِّقة الشِّيعيُّ.

وُلد سنة ست وعشرين ومئة.

قال عليُّ بن المَديني: قال لي هشامُ بنُ يوسف: كان عبدُالرَّزاق أعلمَنا وأحفظَنا.

قلتُ:

هكذا كان النُّظراءُ يعترفون لأقرانهم بالحفظ.

وفي المسند قال أحمد بنُ حنبل:

ما كان في قرية عبدالرزاق بئرٌ فكنَّا نذهَبُ نبكر على ميلين نتوضأُ، ونحملُ معنا الماء.

وقال أبو عَمرو المُستَملي: سمعتُ محمدَ بنَ رافع يقولُ:

---

(١) انظر السير: ٩/٥٦٣ ـ ٥٨٠.

كنتُ مع أحمد وإسحاقَ عند عبدِالرزَّاق، فجاءَنا يومُ الفطرِ، فخرجنا مع عبدِالرزَّاق إلى المُصلَّى، ومعنا ناسٌ كثير، فلما رَجعنا، دعانا عبدُالرزَّاق إلى الغداء، ثم قال لأحمدَ وإسحاق: رأيتُ اليومَ منكما عجباً، لم تُكبِّرا، فقال أحمدُ وإسحاق: يا أبا بكرٍ: كنا نَنتظِرُ هل تُكبِّر، فَنُكبِّر، فلمَّا رأيناكَ لم تُكبِّر، أمسكنا.

قال: وأنا كنتُ أنظرُ إليكما، هل تُكبِّران فأُكبِّر.

الحسن بن سُفيان: سمعتُ فيَّاض بن زُهير النَّسائي، يقولُ: تشفَّعنا بامرأةِ عبدالرَّزاق عليه، فدخلنا، فقال: هاتُوا، تشفَّعتُم إليَّ بمن يَنقلبُ معي على فراشي؟ ثم قال:

ليسَ الشفيعُ الذي يَأتِيك مُتَّزِراً

مثلَ الشَّفيعِ الذي يَأتيكَ عُريانا

قال عبدُالرزَّاق: قدمتُ مكَّةَ مرَّةً، فأتاني أصحابُ الحديث يومين ثم انقطعوا عني يومين، أو ثلاثةً، فقلتُ: يا ربِّ ما شأني؟ أكذَّابٌ أنا؟ أيُّ شيءٍ أنا؟ قال: فجاؤوني بعد ذلك.

العُقيلي في كتاب «الضُّعفاء» له، في ترجمة عبدالرزَّاق: حدَّثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حمَّاد، سمعتُ محمدُ بن عثمان الثَّقفي، قال: لمّا قَدِمَ العبَّاسُ بنُ

عبدالعظيم من عندِ عبدِالرَّزاق من صَنعاء، قال لنا ـ ونحن جماعة ـ: أَلستُ قد تَجَشَّمتُ الخُروجَ إلى عبدالرَّزاق، فدخلتُ إليه، وأقمتُ عنده حتى سمعتُ منه ما أردتُ؟ واللَّهِ الذي لا إلٰه إلاَّ هو، إنَّ عبدالرزَّاق كذَّابٌ، والواقديُّ أصدقُ منه.

قلتُ: بل واللَّهِ ما بَرَّ عبَّاسٌ في يمينه، ولَبِئْسَ ما قال، يَعْمَدُ إلى شيخِ الإسلام، ومُحدِّث الوقتِ، ومَنِ احتجَّ به كلُّ أربابَ الصِّحاح ـ وإن كان له أوهامٌ مَغمورةٌ، وغيرهُ أَبرعُ في الحديث منه ـ فيرميه بالكَذِب، ويُقَدِّم عليه الواقديُّ الذي أجمعت الحُفَّاظُ على تركه، فهو في مقالته هذه خارقٌ للإجماع بيقين.

قال العُقيليُّ: سمعتُ عليَّ بنَ عبدالله بن المبارك الصَّنعاني يقولُ:

كان زيدُ بنُ المبارك، قد لزم عبدَالرَّزَّاق، فأكثر عنه، ثم خَرَق كُتُبَه، ولزم محمدَ بن ثَور، فقيل له في ذلك، فقال: كنا عند عبدِالرزَّاق، فحدثنا بحديثِ معمر، عن الزُّهريِّ، عن مالك بن أوس بن الحدثان... الحديث الطويل، فلمَّا قرأ قولَ عُمَرَ لعليٍّ والعباس: فجئتَ أنت تطلبُ ميراثَكَ من ابنِ أخيك، وجاء هذا يطلبُ ميراثَ امرأتِهِ.

قال عبدُالرَّزاق: انظروا إلى الأَنْوَك[1]، يقولُ: تطلب أنتَ ميراثك من ابنِ أخيك، ويطلبُ هذا ميراثَ زوجتِهِ من أبيها، لا يقول: رسول الله ﷺ. قال زيدُ بنُ المبارك: فلم أَعُد إليه ولا أروي عنه.

قلتُ: هذه عظيمةٌ، وما فهم قولَ أميرِ المؤمنين عُمر، فإنَّك يا هذا لو سَكَتَّ لكان أولى بك، فإنَّ عُمر إنما كان في مقام تبيين العُمُومة والبُنُوَّة، وإلا فعُمر رَضي الله عنه أَعلمُ بحقِّ المصطفى وبِتوقِيرِهِ وتعظِيمِه من كُلِّ مُتَحذْلِقٍ متنطِّع، بل الصَّوابُ أن نقول عنك: انظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقولُ عن عُمَرَ هذا، ولا يقولُ: أميرُ المؤمنين الفاروق؟! وبكُلِّ حالٍ فنستغفرُ الله لنا ولعبدِالرَّزَّاق، فإنَّه مأمونٌ على حديثِ رسول الله ﷺ، صادقٌ.

قال العُقيليُّ: حدثنا أحمدُ بنُ محمد: سمعتُ أبا صالح محمد بنَ إسماعيل الضِّراريَّ يقول:

بلغَنا ونحن بِصنعاء عند عبدِالرَّزّاق أنَّ أصحابَنا، يحيى بنَ مَعين، وأحمد بنَ حنبل وغيرهما، تركوا حديثَ عبدالرَّزّاق وكرهُوه، فدخَلنا من ذلك غَمٌّ شديدٌ، وقُلنا: قد أنفقنا، ورَحلنا وتَعبنا، فلم أزَل في غَمٍّ من

---

(١) أي: الأحمق.

ذلك إلى وقتِ الحجِّ، فخرجتُ إلى مكَّةَ فلقيتُ بها يَحيى بن مَعين، فقلتُ له: يا أبا زكرِيا، ما نزلَ بنا من شيءٍ بلغَنا عنكم في عبدِالرَّزاق؟

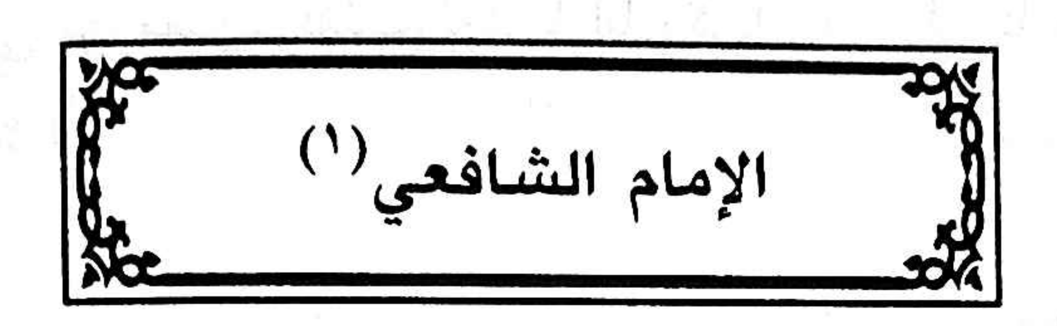
قال: ما هو؟

قُلنا: بلغَنا أنكم تركتُم حديثَه ورغبتُم عنه، قال: يا أبا صالح: لَوِ ارتدَّ عبدُالرَّزَّاقِ عن الإسلام ما تركنا حديثه.

سَلَمة بنَ شَبيب، سمعتُ عبدالرَّزَّاق، يقولُ:

ما انشرحَ صدري قطُّ أنْ أُفضِّل علياً على أبي بكر وعُمر، فرحمهما الله، ورحم عثمان وعلياً من لم يُحبهم فما هو بمؤمن، أوثقُ عملي حُبِّي إياهم.

توفي عبدالرَّزَّاق في سنة إحدى عشرة ومئتين.



الإمام الشافعي[1]

محمد بنُ إدريسَ بنِ العباسِ بنِ عثمانَ بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بنِ هاشم بن المطلب بن عبد مناف، الإمام، عالمُ العصر، ناصرُ الحديث، فقيهُ المِلَّة، أبو عبدالله القُرشي ثم المُطَّلبي الشافعي المكي، الغَزِّيُّ المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه، فالمُطَّلِبُ هو أخو هاشم والد عبد المطلب.

اتفق مولدُ الإمام بغَزَّة، ومات أبوه إدريسُ شابًا، فنشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحوَّلت به إلى مَحْتِدِه[2] وهو ابن عامين، فنشأ بمكة وأقبل على الرَّمْي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشِّعر، فبرع في ذلك وتقدَّم.

---

(١) انظر السير: ١٠/٥ ـ ٩٩.

(٢) أي: أصله.

حُبِّب إليه الفقهُ، فسادَ أهل زمانه.

وارتحل - وهو ابنُ نيِّفٍ وعشرين سنة وقد أفتى وتأهَّل للإمامة - إلى المدينة، فحملَ عن مالك بن أنس «المُوطأ» عَرَضَه من حِفظِهِ.

وصنَّف الكبار في مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، ونال بعضُ الناس منه غَضًا، فما زاده ذلك إلا رِفعةً وجلالة، ولاح للمُنصفين أَنَّ كلام أقرانِه فيه بهوًى، وقلَّ مَنْ برَّز في الإمامة، وردَّ على من خالفه إلا وعُودي، نعوذ بالله من الهوى، وهذه الأوراق تضيقُ عن مناقب هذا السيد.

قال أبو عُبيد:

ما رأيتُ أحداً أعقل من الشافعي، وكذا قال يُونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جُمعت أُمةٌ لوسعهم عقلُه.

قلتُ: هذا على سبيل المبالغة، فإِنَّ الكامِلَ العقلِ لو نَقَصَ مِن عقله نحوُ الربع، لبان عليه نَقصٌ ما، ولبقي له نُظَراء، فلو ذهب نصفُ ذلك العقلِ منه، لظَهَر عليه النقصُ، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أَنَّك أخذتَ عقولَ ثلاثةِ أنفس مثلاً، وصيَّرتَها عقلَ واحدٍ؛ لجاء منه كامل العقل وزيادة.

قال يُونس الصَّدَفيُّ:

ما رأيتُ أعقلَ من الشافعي، ناظرتُه يوماً في مسألةٍ، ثم افترقنا، ولقيَني، فأخذ بيدي، ثم قال:

يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتَّفِق في مسألة.

قلتُ: هذا يدلُ على كمالِ عقلِ هذا الإمام وفقهِ نفسه، فما زال النُّظَراء يختلِفُون.

وقال تميم بن عبدالله: سمعتُ سويد بن سعيد يقول:

كنتُ عند سُفيان، فجاء الشافعيُ فسَلَّم، وجلَسَ، فروى ابنُ عُيينة حديثاً رقيقاً، فَغُشِيَ على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمدُ بن إدريس، فقال ابنُ عُيينة: إن كان مات فقد مات أفضلُ أهلِ زمانه.

قال الربيع: سمعتُ الشافعي يقول:

المِراءُ في الدين يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضغائن.

الربيعَ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ:

وددتُ أنَّ الناسَ تعلَّموا هذا العلم ـ يعني كُتُبَه - على أنْ لا يُنسَبَ إليَّ منه شيء.

وعن الشافعيّ قال:

ما كابَرَني أحدٌ على الحقِّ ودافَع إلا سقَطَ من عيني، ولا قَبِله إلا هبتُه، واعتقدتُ مودَّتَه.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبي يقولُ: قال الشافعيُّ:

أنتم أعلمُ بالأخبارِ الصِّحَاح منا، فإذا كان خبرٌ صحيحٌ، فأعلِمْني حتى أذهب إليه، كوفياً كان، أو بصرياً أو شاميًا.

قال الشافعيُّ:

كلُّ ما قلتُه فكانَ من رسولِ الله ﷺ خلافُ قولي ممَّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقَلِّدُوني.

وقال الحُميديُّ:

روى الشافعيُّ يوماً حديثاً، فقلتُ: أتأخُذُ به. فقال: رأيتَني خرجتُ من كنيسةٍ، أو عليَّ زُنَّارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به؟

وعن الشافعي:

بئسَ الزادُ إلى المَعَادِ العدوانُ على العباد.

وعنه:

ضياعُ العالِم أَنْ يكونَ بلا إخوان، وضياعُ الجاهِل قلَّة عقلِهِ، وأضيعُ منهما مَنْ واخى مَنْ لا عقلَ له.

وقد صنَّفَ الحافظُ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوتِ الاحتجاج بالإمام الشافعيِّ.

وما تكلَّمَ فيه إلاَّ حاسدٌ أو جاهلٌ بحاله، فكانَ ذلكَ الكلامُ الباطلُ منهم مُوجباً لارتفاع شَأْنِهِ، وعُلُوِّ قدرِه، وتلكَ سنةُ اللَّهِ في عباده:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩، ٧٠].

علي بن أحمد بن النضر الأزدي، سمعتُ أحمدَ بن حنبل، وسُئِل عن الشافعي، فقال:

لقد منَّ الله علينا به، لقد كنّا تعلمنا كلامَ القوم، وكَتَبْنَا كتبهم، حتى قدمَ علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلمُ من غيره، وقد جالسناهُ الأيامَ والليالي، فما رأينا منه إلا كلَّ خير، فقيل له: يا أبا عبدالله، كان يحيى وأبو عُبيد لا يرضيانه - يشيرُ إلى التَّشيُّع وأنهما نسباهُ إلى ذلك -.

فقال أحمدُ بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلا خيراً.

قلتُ: من زعم أنَّ الشافعي يتشيَّع فهو مُفترٍ، لا يدري ما يقول.

الربيعُ بنُ سُليمان قال:

حججنا مع الشافعي، فما ارتقى شرفاً ولا هبط وادياً، إلا وهو يبكي، ويُنْشِدُ:

يا راكباً قِفْ بالمُحَصَّبِ مِن مِنى
واهتِفْ بقاعدِ خَيفنا والنَّاهِضِ
سَحَراً إذا فَاضَ الحجيجُ إلى مِنى
فَيضاً كمُلْتَطِمِ الفُراتِ الفائِضِ
إن كـانَ رَفـضـاً حـبُّ آلِ مُـحَـمَّـدٍ
فَلْيَشْهَدِ الثَّقلانِ أنِّي رافِضي

قلتُ: لو كان شيعياً ـ وحاشاه من ذلك ـ لما قال: الخلفاءُ الراشدون خمسةٌ، بدأ بالصِّدِّيق، وختم بعمر بن عبدالعزيز(١).

روى أبو الشيخ الحافظُ وغيره مِن غير وجه: أنَّ الشافعيَّ لما دخل مصر أتاهُ جِلَّةُ أصحابِ مالك، وأقبلوا عليه، فلما رأوه يُخالِفُ مالكاً، وينقُضُ عليه جَفَوْه، وتنكَّروا له، فأنشأ يقول:
أَأَنْـثُـرُ دُرًّا بـيـن سَـارِحَـة الـنَّـعَـم
وأَنْـظِـمُ مَـنْـثُـوراً لِـرَاعِـيـةِ الـغَـنَـم

(١) وللخبر تتمة في غاية النفاسة عند البيهقي، وهي: ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئاً من العلم، وحُرِمَهُ قرناؤه وأشكاله حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم.

لَعَمْرِي لَئِنْ ضُيِّعْتُ في شَرِّ بَلْدةٍ

فَلَسْتُ مُضِيعاً بينَهم غُرَر الحِكَم

فإن فرَّج اللَّهُ اللطيفُ بلُطْفِهِ

وصادَفتُ أهلاً لِلعُلُومِ ولِلحِكَم

بَثَثْتُ مَفيداً واستَفَدْتُ وِدادَهُم

وإلاَّ فَمَخْزونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَم

ومَنْ مَنَح الجُهَّال عِلماً أَضَاعَه

ومَن مَنَعَ المُسْتَوجِبينَ فَقَد ظَلَم

وكاتِمُ عِلْمِ الدِّينِ عمَّنْ يُرِيدُهُ

يَبُوءُ بإِثْمِ زادَ وآثمِ إذا كتم

قال أبو عبدالله بنُ مَندة: حُدِّثتُ عن الربيع قال: رأيتُ أشهَب بنَ عبدالعزيز ساجداً يقولُ في سجوده: اللَّهمَّ أمِت الشافعيَّ لا يذهب علمُ مالك فبلغَ الشافعيَّ، فأنشأ يقول:

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ

فَتِلْكَ سَبيلٌ لستُ فيها بِأَوْحَدِ

فَقُل للذي يبغي خِلاَفَ الذي مَضَى

تَهَيَّأْ لأُخرى مِثلها فكَأن قَدِ

وقَدْ عَلِموا لو يَنفَعُ العِلْمُ عندَهُمْ

لَئِن مِتُّ ما الدَّاعي عَليَّ بِمُخلدِ

قال ابن ماجه القزويني:

جاء يحيى بنُ معين إلى أحمدَ بنِ حنبل، فبينا هو عنده إذ مرَّ الشافعيُّ على بغلته، فوثبَ أحمدُ يُسَلِّم عليه، وتبعه، فأبطَأ، ويحيى جالِسٌ، فلما جاء، قال يحيى: يا أبا عبدالله، كم هذا؟

فقال: دعْ عنك هذا إن أردت الفقه فالزم ذنَبَ البغلة.

الربيع: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ:

لم أرَ أحداً أشهَدَ بالزُّور من الرافضة.

وقال يونسُ بن عبدالأعلى: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ:

يا يونس: الانقباضُ عن الناس مَكسبَةٌ للعداوةِ، والانبساطُ إليهم مَجلَبَةٌ لقُرناء السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط.

وقال لي:

رضى الناس غايةٌ لا تُدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيلٌ، فعليك بما ينفعُك فالزمه.

قلتُ: كلامُ الأقرانِ إذا تبرهنَ لنا أنَّه بهوًى وعَصبيَّة، لا يُلتَفتُ إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرَّر الكفُّ عن الكثير مما شَجَر بين الصحابة وقتالِهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمُرُّ بنا ذلك في

الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف، وبعضه كَذِبٌ، وهذا فيما بأيدينا وبين عُلمائنا فينبغي طيُّه وإخفاؤه، بل إعدامُه لتصفو القلوبُ وتتوفرُ على حُب الصحابة، والترضّي عنهم، وكتمانُ ذلك مُتعيِّنٌ عن العامة وآحادِ العُلماء، وقد يُرخَّصُ في مطالعةِ ذلك خلوةً للعالم المُنصِفِ العَريّ من الهوى، بشرطِ أن يستغفرَ لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

فالقوم لهم سوابق، وأعمالٌ مُكفِّرة لما وقع منهم، وجهادٌ مَحّاءٌ، وعبادةٌ مُمَحِّصةٌ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضلُ من بعض، ونقطعُ بأنَّ أبا بكر وعُمر أفضلُ الأمة، ثم تتمة العشرةِ المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمهات المؤمنين، وبنات نبينا ﷺ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضلُ بعدهم مثلُ أبي الدرداء وسلمان الفارسي، وابنِ عُمر، وسائر أهلِ بَيْعَةِ الرضوانِ الذين رضي الله عنهم بنصِّ آية سورة الفتح: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾، ثم عموم المهاجرين والأنصار

كخالدِ بن الوليد والعبَّاس وعبدالله بن عمرو، وهذه الحَلبَة، ثم سائر مَن صحبَ رسولَ الله ﷺ وجاهدَ معه، أو حجَّ معه، أو سمعَ منه، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحِبِ رسولِ الله ﷺ المهاجراتِ والمدنيات وأُمِّ الفَضل وأُمِّ هانئ الهاشميةِ وسائرِ الصحابيات.

فأما ما تنقله الرافضةُ وأهلُ البِدَعِ في كُتُبِهم من ذلك فلا نُعرِّج عليه، ولا كرامَة، فأكثَرُهُ باطلٌ وكَذِبٌ وافتراءٌ، فدأبُ الروافضِ روايةُ الأباطيل، أو رَدُّ ما في الصحاحِ والمسانيدِ، ومتى إفَاقَةُ مَنْ بِهِ سَكرانُ؟!

ثم قد تكلَّم خلقٌ من التابعين بعضُهم في بعض، وتحاربوا، وجرت أمورٌ لا يُمكنُ شرحُها، فلا فَائدة في بثِّها، ووقع في كُتبِ التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمورٌ عجيبة والعاقِلُ خصمُ نفسِه، ومِن حُسنِ إسلام المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه، ولُحوم العلماء مسمومةٌ وما نُقِلَ من ذلك لتبيين غلطِ العالمِ، وكثرةِ وهمه، أو نقصِ حفظه، فليس مِن هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف.

وإمامُنا، فبحمد الله ثبتٌ في الحديث، حافظٌ لما وعى، عديمُ الغَلط، موصوف بالإيمان، متينُ الديانة، فمن نالَ منه بجهلٍ وهوًى مِمَّن عُلِم أنه مُنافِسٌ له، فقد ظلمَ نفسَه، ومَقَتَهُ العلماءُ، ولاحَ لكلِّ حافظٍ تحامله،

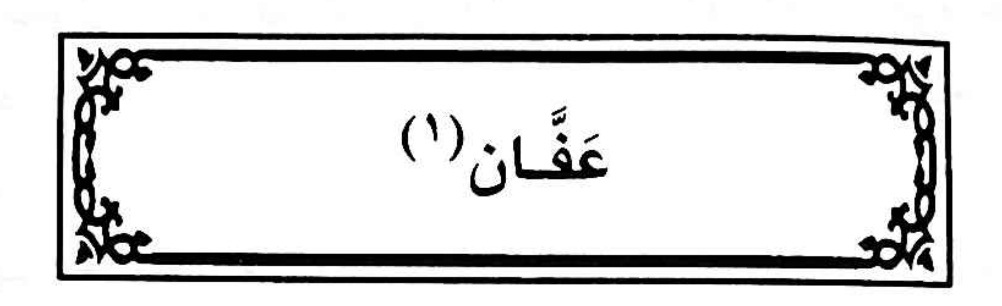
وجرَّ النَّاسُ برجلِهِ، ومَن أثنى عليه، واعترفَ بإمامته وإتقانه، وهم أهلُ العَقد والحَلِّ قديماً وحديثاً، فقد أصابوا، وأجملُوا، وهُدُوا، ووُفِّقُوا.

وأما أئِمتُنا اليوم وحُكَّامُنا، فإذا أعدَموا ما وُجِد من قَدح بهوًى، فقد يُقال: أحسَنوا ووفِّقوا وطاعتُهم في ذلك مفترضةٌ لما قد رأَوهُ من حسم مادَّة الباطل والشَّر.

وبكل حالٍ فالجُهَّال والضُّلاَّلُ قد تكلموا في خيارِ الصحابة، وفي الحديث الثابت: «**لا أحدَ أصبرُ على أذًى يسمعهُ من الله، إنهم ليدعُون له ولداً، وإنه ليرزُقُهم ويُعافيهم**».

وقد كنتُ وقفتُ على بعضِ كلام المغاربة في الإمام، رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيفَ حالِ من تعرَّضَ إلى الإمام، ولله الحمد.

ولا رَيب أنَّ الإمامَ لما سكَن مصر، وخالَف أقرانَه من المالكية، ووهَّى بعضَ فُروعهم بدلائل السُّنَّة وخالف شيخه في مسائل، تألَّموا منه، ونالُوا منه، وجرت بينهم وحشةٌ، غفر الله لِلكلِّ، وقد اعترفَ الإمام سُحنُون، وقال: لم يكُن في الشافعيِّ بدعةٌ، فصدق والله، فرحمَ اللَّهُ الشافعيَّ، وأين مثلُ الشافعيِّ والله! في صدقِه، وشَرَفِه، ونُبْلِه، وسَعَة علمِه، وفَرْطِ ذكائِه، ونَصرِه للحقّ، وكثرةِ مَناقبه، رَحمه الله تعالى.



عَفَّان[1]

ابنُ مُسلم بن عبدالله مولى عَزْرَةَ بن ثابتٍ الأنصاري، الإمام الحافظ، مُحدِّث العراق، أبو عُثمان البصري الصَّفَّار، بقيةُ الأعلام.

ولد سنةَ أربعٍ وثلاثين ومئة تحديداً أو تقريباً.

قال حنبلٌ:

حضرتُ أبا عبدالله وابن مَعينٍ عند عفَانَ بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمِحنَة، وكان أول مَن امْتُحِنَ من الناس عفّان، فسأله يحيى من الغد بَعْدَ ما امتُحن، وأبو عبدالله حاضر ونحن معه، فقال: أخبِرْنا بما قال لك إسحاق؟

قال: يا أبا زكريا لم أُسَوِّدْ وجهَك ولا وجوه أصحابِك، إني لم أجب.

فقال له: فكيف كان؟

قال: دعاني وقرأ عليَّ الكتاب الذي كتب به

---

(١) انظر السير: ١٠/٢٤٢ ـ ٢٥٥.

المأمون من الجزيرة، فإذا فيه: امتحن عفّان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأَقِرَّه على أمره، وإن لم يُجِبكَ إلى ما كتبتُ به إليك فاقطَعْ عنه الذي يُجرى عليه - وكان المأمون يُجري على عفّان كلَّ شهرٍ خمسَ مئةِ درهم - فلما قرأ عليَّ الكتاب قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حتى ختمتُها، فقلت: أمخلوقٌ هذا؟

فقال: يا شيخُ إنَّ أميرَ المؤمنين يقولُ: إنَّك إن لم تُجبه إلى الذي يدعوكَ إليه يقطعُ عنك ما يجري عليك.

فقلت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات] فسكَتَ عني، وانصرفتُ، فسُر بذلك أبو عبدالله ويحيى.

قلتُ: هذه الحكايةُ تدلُّ على جلالةِ عفَّان وارتفاع شأنِهِ عند الدولة، فإنَّ غيره امتُحنَ وقُيِّد وسُجن، وعفَّان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه.

قال القاسمُ بن أبي صالح: سمعتُ إبراهيم بن ديزيل، يقول:

لما دُعي عفَّانُ للمِحنة كنتُ آخِذاً بلجام حِمارِه، فلما حَضَرَ عُرض عليه القولُ، فامتنع أن يُجِيبَ، فقيل له: يُحبَسُ عطاؤك - قال: وكان يُعطى في كُلِّ شهرٍ ألفَ درهم - فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾، فلما رَجَعَ إلى دارِه عَذَلَه نِساؤُه ومن في داره، قال: وكان في داره نحو أربعينَ إنساناً، فدَّق عليه داقٌ

الباب، فدخل عليه رجلٌ شبَّهتُه بسمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألفُ درهم، فقال: يا أبا عثمان ثَبَّتَكَ الله كما ثَبَّتَ الدين وهذا في كلِّ شهر.

محمد بن الحسن بن علي بن بَحر: حدثنا الفَلاَّس قال:

رأيتُ يحيى يوماً حدَّث بحديثٍ، فقال له عفَّان: ليس هو هكذا. فلما كانَ من الغد، أتيتُ يحيى، فقال: هو كما قال عفَّان، ولقد سألتُ الله أن لا يكونَ عندي على خلاف ما قال عفَّان.

قلتُ: هكذا العلماءُ، فانظر يا مسكين كيف أنت عنهم بِمَعْزَل.

قال سَلَمةُ بن شَبيب: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: طلبتُ عفَّان في منزله، قالوا: خرج، فخرجت أسألُ عنه، فقيل: توجَّه هكذا، فجعلت أمضي أَسأَلُ عنه، حتى انتهيتُ إلى مَقْبُرَةٍ، وإذا هو جالس يقرأ على قبر بنتِ أخي ذي الرِّياسَتَين، فَبزقْتُ عليه، وقلت: سَوْءَةً لك.

قال: يا هذا، الخُبزَ الخُبز!

قلتُ: لا أشبع اللَّهُ بطنَك.

قال: فقال لي أحمد: لا تَذكرن هذا فإِنَّه قد قامَ في المحنة مُقاماً محموداً عليه، ونحوَ هذا من الكلام.

مات عفَّانُ في سنة عشرين ومئتين أو قبلها.

قلتُ: عاش خمساً وثمانين سنة رحمه الله.



الإمام العالم الحافظ الفقيه، أبو زكريا، يحيى بن صالح الوحاظي الدمشقي، وقيل: الحِمصي.

قال يحيى بن معين: ثقة.

وممَّن وثَّقه ابن عدي وابن حبّان، وغمزه بعض الأئمة لبدعة فيه، لا لعدم إتقان.

قال أحمد بن حنبل:

أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحابُ الحديثِ عشرةَ أحاديث - يعني هذه التي في الرؤية - ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأي جهم.

قلتُ: والمعتزلة تقول:

---

(١) انظر السير: ١٠/٤٥٣ ـ ٤٥٦.

لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية، والنزول، لأصابوا.

والقدرية تقول:

لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر.

والرافضة تقول:

لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدَّعون صحتها ألف حديث، لأصابوا.

وكثير من ذوي الرأي يردّون أحاديث شافَه بها الحافظ المفتي المجتهد أبو هريرة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه ما كان فقيهاً، ويأتوننا بأحاديث ساقطة، أو لا يعرف لها إسناد أصلاً محتجّين بها.

قلنا: وللكلِّ موقفٌ بين يديِ الله تعالى: يا سبحان الله! أحاديث رؤيةِ الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف؟

قال أبو زُرعة الدمشقي: حدثنا يزيد بن عبد ربه يقول: سمعت وكيعاً يقول ليحيى الوحاظي:

اجتنب الرأي، فإِني سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: البول في المسجد أحسن من بعض قياسهم.

مات الوحاظي سنة اثنتين وعشرين ومئتين.



علي بن الجعد[1]

ابن عُبيد الإمام الحافظ الحجة مُسند بغداد، أبو الحسن البغدادي الجوهري، مولى بني هاشم.

وُلد سنة أربع وثلاثين ومئة.

قال الحسين بن إسماعيل الفارسي، سألت عَبدُوس بن هانىء عن حال عليٍّ بن الجعد، فقال:

ما أعلم أني لقيت أحفظ منه.

فقال: كان يُتَّهم بالجَهْم.

قال: قد قيل هذا، ولم يكن كما قالوا، إلا أن ابنه الحسن بن علي كان على قضاء بغداد، وكان يقول بقول جَهم.

---

(١) انظر السير: ١٠/٤٥٩ ـ ٤٦٨.

قال: كان عند علي بن الجعد عن شعبة نحو من ألف ومئتي حديث، وكان قد لقي المشايخ فزهدت فيه بسبب هذا القول، ثم ندمت بعد.

وقال أبو يحيى الناقد: سمعتُ أبا غسان الدوري يقول:

كنتُ عند علي بن الجعد، فذكروا حديث ابن عمر: «كنا نُفاضِلُ على عهد النبي ﷺ فنقول: خير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، فيبلغ النبي ﷺ، فلا يُنكره».

فقال علي: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنا نفاضل.

وكنت عنده فذكروا حديث: «**إن ابني هذا سيد**» قال: ما جعله الله سيداً.

قلت: أبو غسان لا أعرف حاله، فإن كان قد صدق فلعل ابن الجعد قد تاب من هذه الورطة، بل جعله سيداً على رغم أنف كل جاهل، فإن من أصرّ على مثل هذا من الرد على سيد البشر، يكفر بلا مثنويَّة، وأي سُؤدد أعظمُ من أنه بويع بالخلافة، ثم نزل عن الأمر لقرابته، وبايعه على أنه ولي عهد المؤمنين، وأن الخلافة له من بعد معاوية حسماً للفتنة، وحقناً للدماء، وإصلاحاً بين جيوش الأمة ليتفرغوا لجهاد الأعداء، ويخلصوا من قتال بعضهم بعضاً، فصحّ فيه

تفرّس جدّه ﷺ، وعُدّ ذلك من المعجزات، ومن باب إخباره بالكوائن بعده، وظهر كمال سؤدد السيد الحسن بنِ عليٍّ ريحانةِ رسولِ الله ﷺ وحبيبهِ، ولله الحمد.

وقال محمد بن حماد المقرىء: سألتُ يحيى بن معين عن علي بن الجعد، فقال:

ثقة صدوق، ثقة صدوق.

قلت: فهذا الذي كان منه؟

فقال: أيش كان منه؟ ثقة صدوق.

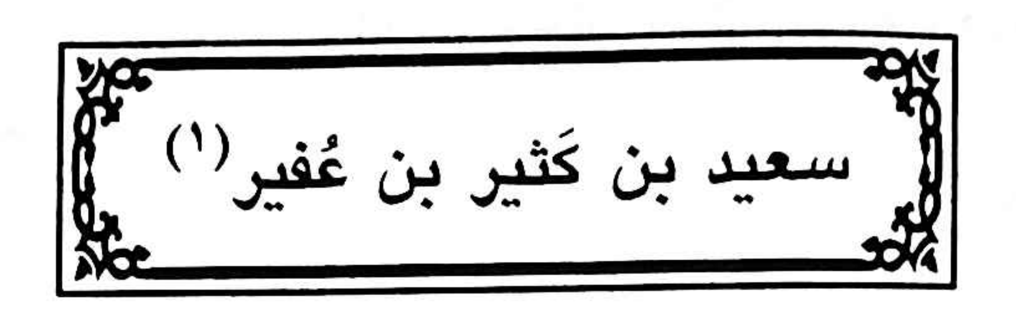
وقال فيه مسلم: هو ثقة لكنَّه جهمي.

قلتُ: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه.

وقد كان طائفة من المحدثين يتنطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعليٌّ إمام كبير حجة، يقال: مكث ستين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وبحسبك أن ابن عدي يقول في «كامله»:

لم أر في رواياته حديثاً منكراً إذا حدّث عنه ثقة.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وقد استكمل ستاً وتسعين سنة.



سعيد بن كَثير بن عُفير[1]

الإمام الحافظ العلاَّمة الأخباري الثقة، أبو عثمان المصري.

مولده سنة ست وأربعين ومئة، وهو من موالي الأنصار.

قال ابن عدي: هو عند النَّاس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السَّعْدي الجَوْزَجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البِدَع، وكان مُخَلِّطاً غير ثقة، فهذا من مُجازفات السَّعْدي.

قال ابن عدي:

هذا الذي قاله السَّعديُّ لا معنى له، ولم أسمع أحداً، ولا بلغني عن أحد كلامٌ في سعيد بن عُفير، وقد حدَّث عنه الأئمة، إلا أن يكون السَّعْدي أراد به سعيد بن عُفير آخر.

---

(١) انظر السير: ١٠/٥٨٣ ـ ٥٨٦.

وقال يحيى بن مَعِين:

رأيت بمصرَ ثلاثَ عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عُفير.

قلتُ: حسبك أنَّ يحيى إمامَ المحدثين انبهر لابن عفير.

وقال أبو سعيد بن يونس:

كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله شيئاً عجيباً، وكان مع ذلك أديباً فصيحاً، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تُمَلُّ مجالسته، ولا يُنزَفُ علمه.

علي بن عبدالرحمٰن: حدثنا سعيد بن كثير بن عفير قال:

كنا بقُبَّة الهواء عند المأمون فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن الذي ترى بقية ما دُمِّر. قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، قال: صدقتَ. ثم أمسك.

مات سعيد بن عفير سنةَ ست وعشرين ومئتين.

عَلِيُّ بنُ المَدِينيِّ[1][2]

الشيخ الإِمامُ الحُجّة، أمير المؤمنين في الحديث،

---

(١) انظر السير: ١١/٤١ ـ ٦٠.

(٢) لقد شدد الذهبي المؤلف، رحمه الله، النكير على العقيلي لإيراده علي بن المديني في كتابه «الضعفاء» فقال في «ميزانه» ٣/١٤٠، ١٤١: وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبدالله البخاري - وناهيك به - قد شحن صحيحه بحديث علي بن المديني. ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبدالرزاق، وعثمان بن أبي شيبة... لغلقنا الباب، وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال. أفما لك عقل يا عقيلي؟! أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لنذُبَّ عنهم، ولنزيِّف ما قيل فيهم. كأنك لا تدري أن كل واحدٍ من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث. وأنا أشتهي أن تعرِّفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه. بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث، كان أرفع له، وأكمل لرتبته، وأدل على اعتنائه بعلم الأثر، وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، =

أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر السعدي، مولاهم البصري، المعروف بابن المديني.

مولد عليٍّ في سنة إحدى وستين مئة، بالبصرة.

قال أبو حاتم الرازي:

كان ابنُ المدينيِّ عَلَماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يَكْنيه تَبْجِيلاً له.

إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، فذكر حديثاً ثم قال سفيان:

تلومني على حبِّ عَلِيٍّ، والله لقد كنت أتعلم منه أكثرَ مما يتعلم مني.

وقال عباس العنبري:

كان يحيى القَطَّان ربما قال: لا أحدّث شهراً ولا أحدث كذا، فحُدِّثْتُ أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء

= اللّهم إلا أن يتبين غلطه ووهمه في الشيء، فيُعرف ذلك فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله ﷺ، الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه!! وكذلك التابعون، كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما الغَرَض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث.

الشهر، قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا.

قال أبو قدامة السَّرَخْسي: سمعتُ عليًا يقول: رأيت كأنَّ الثريا تدلت حتى تناولتها.

قال أبو قدامة: صدّق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد.

قال إبراهيم بن مَعْقِل: سمعت البخاري، يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليٍّ بنِ المديني.

قال عباس العنبري:

لعله كان يقدَّم على الحسن البصري، كان الناس يكتبون قيامَه وقعوده ولباسه، وكل شيء يقول أو يفعل أو نحو هذا.

قال أحمد بن أبي خيثمة: سمعت ابن معين، يقول: كان علي بن المديني إذا قدم علينا أظهر السُّنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيُّعَ.

قلت: كان إظهارهُ لمناقب الإمام علي بالبصرة لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على عَلِيّ.

قال عبدالله بن أبي زياد القَطَواني: سمعت أبا عُبيد يقول:

انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر بن أبي شيبة أَسْرَدُهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي بن المديني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له.

قال أبو أمية الطَّرَسُوسي: سمعت عليًا، يقول: ربما أَذَّكَّرُ الحديثَ في الليل، فآمر الجارية تُسْرِجُ السراجَ فأنظر فيه.

قال ابن عمار المَوْصِلي في «تاريخه»: قال لي علي بن المديني:

ما يمنعك أن تكفِّر الجَهْمِيَّة، وكنت أنا أوّلاً لا أكفرهم؟ فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبتُ إليه أذكِّره ما قال لي، وأذكِّره الله. فأخبرني رجلٌ عنه أنه بكى حين قرأ كتابي.

ثم رأيتُه بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلت وأجبت إلى شيء، ولكني خِفت أن أُقْتل، وتَعْلَمُ ضعفي أنِّي لو ضُرِبتُ سَوْطاً واحداً لمتُّ، أو نحو هذا.

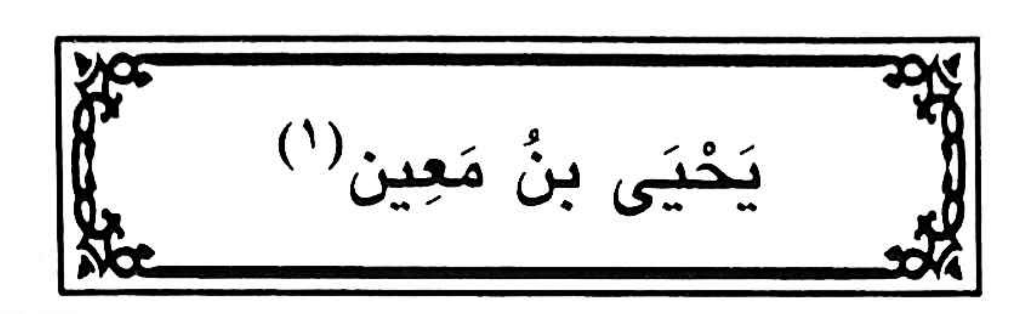
قال ابنُ عمار: ودفع عني عليٌّ امتحان ابنِ أبي دُواد إياي، شفعَ فيَّ ودفع في غير واحد من أهل الموصل من أجلي، فما أجابَ دِيانةً إلا خوفاً.

قال عبدالرحمٰن بن أبي حاتم:

كان أبو زُرْعَةَ ترك الرواية عن عليّ من أجل ما بدا منه في المحنة، وكان والدي يروي عنه لنزوعِه عما كان منه. قال أبي: كان عليٌّ عَلماً في الناس في معرفة الحديث والعلل.

قلت: ويُروى عن عبدالله بن أحمد، أن أباه أمسك عن الرواية عن ابن المديني، ولم أر ذلك، بل في «مسنده» عنه أحاديث، وفي «صحيح البخاري» عنه جملة وافرة.

مات بسامَرَّاء في سنة أربع وثلاثين ومئتين.



يَحْيَى بنُ مَعِين[1]

هو الإمامُ الحافظ الجِهبذ، شيخُ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بنُ معين بن عون، الغَطَفاني ثم المُرّي، مولاهم البغدادي، أحد الأعلام.

ولد سنة ثمان وخمسين ومئة.

وهو أسنّ الجماعة الكبار الذين هم: علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شَيْبَة، وأبو خَيْثَمَة، فكانوا يتأدبون معه، ويعترفون له، وكان له هيبة وجلالة، يركب البغلة ويتجمل في لباسه، رحمه الله تعالى.

قال أبو الحسن بن البَراء، سمعت عليًا يقولُ:

لا نعلمُ أحداً من لَدُنْ آدم كتب من الحديث ما كتب يحيى.

---

(١) انظر السير: ١١/٧١ ـ ٩٦.

قال أحمد بنُ عُقْبَة، سألتُ يحيى بنَ معين:

كم كتبتَ من الحديث؟

قال: كتبتُ بيدِي هذه ستَّ مئةِ ألفِ حديث.

قلت: يعني بالمكرر.

عبدالخالق بن منصور: سمعتُ ابن الرومي، يقولُ:

ما رأيتُ أحداً قطُّ يقولُ الحقَّ في المشايخ غير يحيى، وغيرُه كان يتحاملُ بالقول.

قلت: هذا القول من عبدالله بن الرومي غير مقبول، وإنما قاله باجتهاده، ونحن لا ندعي العِصمَةَ في أئمة الجَرحِ والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً، وأندرهم خطأً، وأشدهم إنصافاً، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرحٍ، فَتمسَّكْ به، واعضضْ عليه بناجِذَيْك، ولا تتجاوزه، فتندم. ومن شَذَّ منهم، فلا عبرة به. فخلِّ عنك العناء، وأعطِ القوس باريها، فوالله لولا الحُفَّاظُ الأكابر لخطبتِ الزنادِقَةُ على المَنَابِر، ولئن خطب خَاطِب من أهْل البِدَعِ فإنَّما هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة وبجاهِ السنَّةَ وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ فنعوذُ بالله من الخذلان.

ومن نادر ما شذَّ به ابن مَعين، رحمه الله، كلامُه

في أحمد بن صالح حافظ مصر، فإنه تكلم فيه باجتهاده، وشاهَد منه ما يُليّنه باعتبار عدالته لا باعتبار إتقانه، فإنه متقِن ثَبْتٌ، ولكن عليه مأخذ في تيهٍ وبَأْوٍ كان يتعاطاه، والله لا يُحِب كلَّ مختال فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شبيبةِ ابنِ صالح، فتاب منه أو من بعضه، ثم شاخ، ولزم الخير، فلقيه البخاري والكبار، واحتجوا به. وأما كلامُ النسائي فيه فكلامُ موتورٍ لأنه آذى النسائي، وطرده من مجلسه، فقال فيه: ليس بثقة.

وقال ابن الغلابي: قال يحيى:

إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه.

وقال محمد بن هارون الفَلاّس:

إذا رأيتَ الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم أنَّهُ كَذَّاب، يَضَعُ الحديث، وإنما يبغضه لما يُبين من أمر الكذابين.

وقال جعفر بنُ أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل، فقال:

يا أبا زكريا، حدثْني بشيء أذْكُرْك به.

فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني أن أحدثَك فلم أفعل.

الحسين بن فهم: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت بمصرَ، فرأيت جارية بيعت بألف دينار، ما رأيتُ أحسن منها، صلى الله عليها.

فقلت: يا أبا زكريا: مثلك يقول هذا؟

قال: نعم، صلّى الله عليها وعلى كل مليح.

هذه الحكاية محمولة على الدُّعابة من أبي زكريا. وتُروى عنه بإسناد آخر.

قال سعيد بن عمرو البَرْذَعي: سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التَّمَّار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب[1].

قلت: هذا أمر ضيِّق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية. وهذا هو الحق. وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقية.

عباس الدوري: سمعتُ يحيى بن معين، يقول: كنتُ إذا دخلتُ منزلي بالليل، قرأتُ آيةَ الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فبينا أنا أقرأ، إذا شيء

---

(١) أي: محنة خلق القرآن.

يكلمني: كم تقرأ هذا؟ كأنْ ليس إنسانٌ يُحسن يقرأ غيرك؟

فقلت: أرى هذا يسوءُك؟ والله لأزيدنَّكَ. فصِرتُ أقرؤهَا في الليلة خمسين ستين مرّةً.

قال إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد: سمعتُ يحيى بن معين، يقول:

ما الدنيا إلا كَحُلُم، والله ما ضَرَّ رجلاً اتَّقى الله على ما أصبح وأمسى، لقد حججتُ وأنا ابنُ أربع وعشرين سنة، خرجتُ راجلاً من بغداد إلى مكة، هذا من خمسين سنة كأنما كان أمسِ.

فقلت ليحيى: ترى أن يَنظر الرجل في رأي الشافعي، وأبي حنيفة؟

قال: ما أرى لأحد أن ينظُرَ في رأي الشافعي، ينظر في رأي أبي حنيفة أحب إليَّ.

قلت: قد كان أبو زكريا رحمه الله حنفياً في الفروع، فلهذا قال هذا، وفيه انحراف يسير عن الشافعي.

قال محمد بن جرير الطبري:

خرج ابنُ معين حاجاً، وكان أكولاً فحدثني أبو

العباس أحمد بن شاه أنه كان في رُفقَتِه، فلما قدِموا فَيْد أُهدِي إلى يحيى فالوذج لم ينضِج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله فإنا نخاف عليك. فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في مَعِدته حتى شكا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوضَ له، فتفاوضْنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المُقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره، فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج، وبتنا فلم يُصبح حتى وصَّى ومات، فغسلناه ودفناه.

قال عباس الدُّوري:

مات قبل أن يَحُجَّ عامئذٍ، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحِزاميُّ الواليَ، فأخرجوا له سريرَ النبيِّ ﷺ، فحمل عليه.

أحمد بن أبي خَيْثمة، قال:

مات يحيى سنة ثلاث وثلاثين، وقد استوفى خمساً وسبعين سنة، ودخل في الست، ودفن بالبقيع.

قال حُبَيْش بن مبشِّر الفقيه ـ وهو ثقة ـ:

رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: أعطاني وحَباني وزوجني ثلاث مئة حوراء،

ومهَّد لي بين البابين، أو قال: بين الناس. سمعها جعفر بن أبي عثمان من حُبيش.

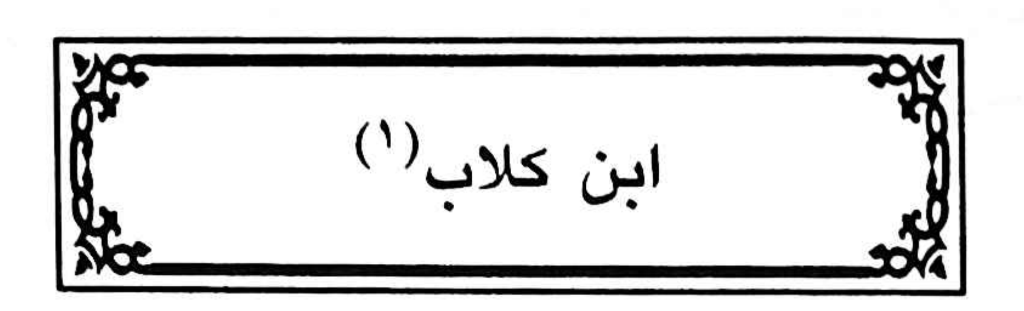
ورواها الحسين بن الخصيب، عن حُبيش، قال: رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: أدخلَني عليه في داره وزوجني ثلاث مئة حوراء، ثم قال للملائكة: انظروا إلى عبدي كيف تطرّى وحَسُنَ.

وقال: لستُ أعجبُ ممن يحدِّث فيخطىء، بل ممن يصيب.

علي بن الحسين بن الجنيد، سمعتُ يحيى بنَ معين، يقول:

إنا لنَطْعُنُ على أقوامٍ لعلهم قد حَطُّوا رِحَالَهُم في الجنَّةِ من أكثر من مئتي سَنة. قال ابن مَهْرَوَيه: فدخلتُ على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدّثتُه بهذه الحكاية، فبكى وارتعدتْ يداهُ حتى سقط الكتابُ من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال.



ابن كلاب[1]

رأسُ المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب القَطَّان البصري، صاحبُ التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم.

وكان يُلَقبُ كُلاَّباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانِه وبلاغتِه، وأصحابه هم الكُلاَّبِيَّة، لحق بعضَهم أبو الحسن الأشعري، وكان يَردُّ على الجَهْمية.

وقال بعضُ من لا يعلم:

إنه ابتَدَع ما ابتدعه ليَدُسَّ دينَ النَّصارى في مِلَّتنا وإنَّه أرْضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجلُ أقربُ المتكلمين إلى السُّنةِ، بل هو في مناظريهم.

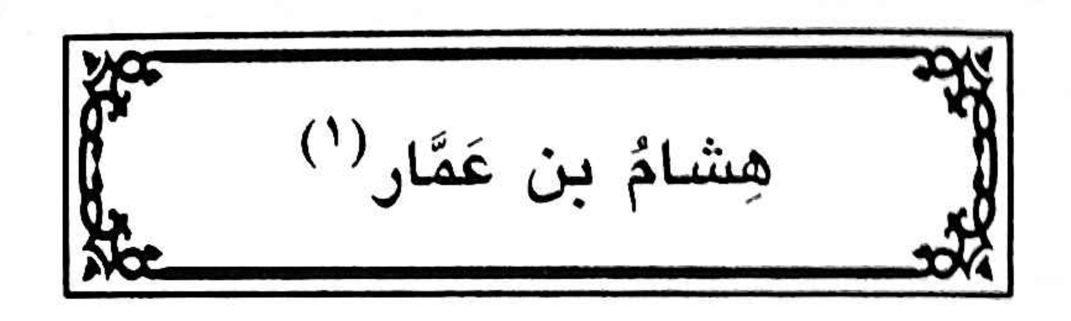
وصنَّف في التوحيد، وإثباتِ الصفات، وأنَّ عُلُوَّ

---

(١) انظر السير: ١١/١٧٤ ـ ١٧٦.

الباري على خلقه مَعْلُوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المُحاسبي في كتاب «فهم القرآن».

ولم أقع بوفاة ابن كُلاَّب. وقد كان باقياً قبل الأربعين ومئتين.



هِشامُ بن عَمَّار[1]

ابن نُصَير، **الإمامُ الحافظ العلاَّمة المقرىء، عالمُ أهل الشام، أبو الوليد السُّلَمي، خطيب دمشق.**

قال: ولدتُ سنة ثلاث وخمسين ومئة.

فلقد كان من أوعية العلم، وكان ابتداء طلبه للعلم وهو حَدَثَ قبل السبعين ومئة، وفيها، وقرأ القرآن على جماعة.

وروى أبو حاتم الرازي: عن يحيى بن معين: كيِّس كيِّس.

قال أبو القاسم بن الفرات: أخبرنا أبو علي أحمدُ بن محمد الأصبَهاني المقرىء.

لما تُوُفِّي أيوب بن تميم، يعني: مُقرىء دمشق، رجعت الإمامةُ حينئذٍ إلى رجلين، أحدُهما: مشتهرٌ بالقراءة والضبط، وهو ابنُ ذكوان، فائتمَّ الناس به،

---

(١) انظر السير: ١١/٤٢٠ ـ ٤٣٥.

والآخرُ: مشتهرٌ بالنقل والفصاحة والرواية والعلم، والدراية، وهو هشامُ بنُ عمار، وكان خطيباً بدمشق، رُزِقَ كبرَ السن، وصحةَ العقل والرأي، فارتحل الناسُ إليه في نقل القراءة والحديث.

وكان ابنُ ذكوان يُفضّله، ويرى مكانه لكبر سنه. فلما توفي ابنُ ذكوان سنة اثنتين وأربعين، اجتمع الناسُ على إمامة هشام بن عمار في القراءة والنقل. وتوفي بعده بثلاث سنين.

قال أبو أحمد بن عُدي في «كامله»: سمعتُ قسطنطين بنَ عبدالله مولى المعتمد، يقول:

حضرتُ مجلسَ هشام بنِ عمار، فقال المستملي: من ذكرتَ؟ فقال: أخبرنا بعض مشايخنا، ثم نَعس.

ثم قال له: من ذكرتَ؟ فنعس.

فقال المستملي: لا تَنْتَفِعُوا به، فجمعوا له شيئاً فأعطَوه فكان بعد ذلك يُملي عليهم حتى يَمَلُّوا.

وقال محمد بنُ أحمد بن راشد بن مَعدان الأصبهاني: سمعتُ ابنَ وَارَة يقول:

عزمتُ زماناً أن أُمسكَ عن حديث هشام بنِ عمار، لأنَّه كان يبيعُ الحديث.

قلت: العَجبُ من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكنْ محتاجاً، وله اجتهاده.

قال صالح بنُ محمد جَزَرَة:

كان هشام بنُ عمار يأخذُ على الحديث ولا يحدِّثُ ما لم يأخذ، فدخلتُ عليه، فقال: يا أبا علي، حدثني بحديثٍ لعليّ بن الجعد، فقال: حدثنا ابن الجعد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: علِّمْ مَجَّاناً كما عُلِّمْت مجاناً.

قال: تَعرَّضْتَ بي يا أبا علي؟

فقلتُ: ما تعرضت، بل قصدتُك.

قال أبو بكر المروذي:

ذكر أحمدُ بنُ حنبل هشام بنَ عمار، فقال: طياش خفيف.

خيثمة: سمعتُ محمد بنَ عوف، يقول:

أتينا هشامَ بنَ عمار في مزرعة له، وقد انكشفتْ سَوْءَتُه، فقلنا: يا شيخ غَطِّ عليك.

فقال: رأيتموه؟! لن ترمدَ عينُكم أبداً ـ يعني يمزح ـ.

قال أبو بكر محمد بنُ سليمان الرَّبَعي: حدثنا محمدُ بنُ الفيض الغَسَّاني، سمعتُ هشام بن عمار، يقول:

باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً وجهزني للحج. فلما صِرتُ إلى المدينة، أتيتُ مجلس مالك، ومعي مسائل أريدُ أن أسألَه عنها. فأتيتُه، وهو جالس في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناسُ يسألونه، وهو يُجيبُهم.

فلمّا انقضى المجلس، قال لي بعضُ أصحاب الحديث: سل عن ما معك؟

فقلتُ له: يا أبا عبدالله ما تَقولُ في كذا وكذا؟

فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام، احملْه فحملني كما يُحمل الصبي، وأنا يومئذ غُلام مدرِك، فضربني بدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ المعلمين سبع عشرة درة، فوقفتُ أبكي.

فقال لي: ما يُبكيك؟ أوْجَعَتْكَ هذه الدِّرَّة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجَّه بي أتشرفُ بك وبالسماع منك، فضربْتَني؟

فقال: اكْتب، قال: فحدثني سبعةَ عشر حديثاً، وسألتُه عما كان معي من المسائل فأجابني.

قال محمدُ بنُ خُريم الخُزَيْمي: سمعتُ هشام بن عمار، يقول في خطبته:

قولوا الحقَّ، ينزِلْكم الحقُّ منازِلَ أهلِ الحقِّ يوم لا يُقضى إلا بالحقّ.

قلتُ: وكان هشام خطيباً بليغاً صاحب بديهة.

قلت: أما قول الإمام فيه: طياش، فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: الحمد لله الذي تجلى لخلقه بخَلقه. فهذه الكلمةُ لا ينبغي إطلاقُها، وإن كان لها معنى

صحيح، لكن يَحتجُّ بها الحُلُوليُّ والاتحادي وما بلغنا أنَّه سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا بجبل الطور، فصيَّرهُ دَكًّا، وفي تَجلِّيه لنبينا ﷺ، اختلاف أنكرتْه عائشةُ وأثبته ابنُ عباس.

وبكل حالٍ كلامُ الأقْران بعضهم في بعض يُحتمل، وطَيُّه أولى من بثِّه إلا أن يَتَّفِقَ المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمدُ قولهم، والله أعلم.

وقال محمدُ بنَ الفيض:

جاء رجلٌ من قرية الحُرْجُلَّة[1] يطلبُ لعرس أخيه لعَّابين، فوجد الوالي قد منعهم، فجاء يطلب مُغبِّرين، يعني: مُزَمْزِمين يُغبِّرون بالقضيب[2]، قال: فَلقِيَه صوفيٌّ ماجن، فأرشده إلى ابن ذَكوان، وهو خلفَ المنبر، فجاءه، وقال:

إنَّ السلطان قد مَنَعَ المغنِّين.

فقال: أحسنَ والله.

فقال: فنعمل العرس بالمغبِّرين، وقد دُلِلتُ عليك.

(١) من قرى دمشق.

(٢) مثل آلة الموسيقى.

فقال: لنا رفيق، فإن جاء جئتُ، وهو ذاك، وأشار إلى هشام بنِ عمار، فقامَ الرجلُ إليه، وهو عند المحراب مُتَّكِىء، فقال الرجل لهشام:

أبو من أنت، فردَّ عليه رداً ضعيفاً، فقال: أبو الوليد.

فقال: يا أبا الوليد: أنا من الحُرْجُلَّة.

قال: ما أُبالي من أين كنْتَ.

قال: إن أخي يعمَل عُرْسَه.

فقال: فماذا أصنعُ؟

قال: قد أرسلني أطلبُ له المُخَنَّثين.

قال: لا بارك الله فيهم ولا فيك.

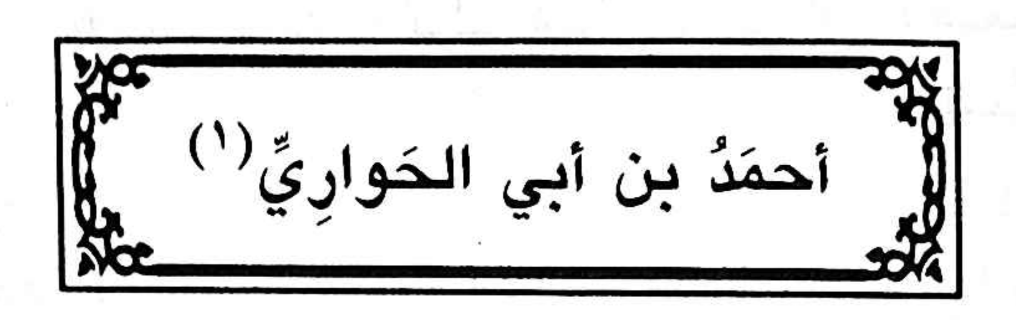
قال: وقد طلب المغبِّرين فأُرْشِدْتُ إليك.

قال: ومن بعثَك؟

قال: هذاك الرجل، فرفع هشامٌ رجله، وَرَفَسَه وقال: قُم. وصاح بابن ذكوان: أقد تفرغتَ لهذا؟

قال: إي والله أنت رئيسُنا، لو مضيتَ مَضَينا.

تُوُفِّي هشامُ بنُ عمار في سنة خمس وأربعين ومئتين.



أحمَدُ بن أبي الحَوارِيِّ[1]

واسم أبيه عبدُالله بن ميمون، الإِمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبيُّ الغَطَفانيُّ الدمشقيُّ الزاهد، أحدُ الأعلام، أصلُه من الكوفة.

قال: سألني أحمد بن حنبل: متى مولِدُكَ؟

قلت: في سنةِ أربعٍ وستين ومئة.

عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحَوَاري، فقال: أهلُ الشام به يُمطَرون.

وقال ابن أبي حاتم:

سمعت أبي يُحْسِنُ الثناءَ عليه، ويُطْنِبُ فيه.

قال محمد بن عوف الحِمْصِيُّ:

رأيتُ أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطَرسُوس[2]،

---

(١) انظر السير: ١٢/٨٥ ـ ٩٤.

(٢) في «معجم البلدان» أنطَرطوس: بلد من سواحل بحر الشام.

فلما صلَّى العَتَمَة[1] قام يُصلِّي، فاستفتح بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فَطُفْت الحائط كلَّه، ثم رجَعتُ، فإذا هو لا يُجاوزُها ثم نمتُ، ومررت في السَّحَرِ، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يُرَدِّدُها إلى الصبح.

قال سعيد بن عبدالعزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:

من عمل بلا اتِّباع سُنَّةٍ فعمَلُهُ باطِل.

وقال:

من نظر إلى الدنيا نظر إرادةٍ وحبٍ، أخرج الله نورَ اليقين والزهدِ من قلبه.

أحمد بن أبي الحَواري قال: قلت لراهبٍ في دَير حَرملَة، وأشرف من صومعته: ما اسْمُكَ؟

قال: جُرَيْجٌ.

قلتُ: ما يحبِسُكَ؟

قال: حَبَسْتُ نفسي عن الشهوات.

قلتُ: أما كان يستقيمُ لك أن تذهبَ معنا هاهنا وتجيءَ وتمنعَها الشهوات؟

قال: هيهات!! هذا الذي تصِفهُ قوة وأنا في ضعف.

قلتُ: ولم تفعل هذا؟

---

(١) أي: صلاة العشاء لأنها تصلَّى في العَتَمَة، أي: الظلمة.

قال: نجدُ في كتبنا أنَّ بَدَنَ ابنِ آدمَ خُلِقَ من الأرض، وروحهُ خُلِقَ من ملكوتِ السماء، فإذا أجاع بدنَه وأعراه وأسهره وأقمَأه نازَع الرُّوح إلى الموضع الذي خَرج منه، وإذا أطعَمه وأراحه أخلد البدنُ إلى الموضع الذي منه خُلق، فأحبَّ الدُّنيا.

قلتُ: فإذا فعل هذا يعجل له في الدُّنيا الثواب؟

قال: نعم نُورٌ يوازيه.

قال: فحدثت بهذا أبا سليمان الداراني، فقال: قاتَله الله، إنهم يَصِفُون.

قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «**لكِني أصومُ وأفطِر، وأقومُ وأنامُ، وآتِي النِّساءَ، وآكُلُ اللحْمَ، فمن رَغبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي**»، فلم يشرع لنا الرَّهبانيَّة، ولا التَمزُّق ولا الوصال بل ولا صومَ الدهر، ودينُ الإسلام يُسرٌ وحنيفيَّة سَمحَةٌ، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧].

وقد كان النساءُ أحبَّ شيء إلى نبينا ﷺ، وكذلك اللحمُ والحلواء والعسلُ والشراب الحلو البارد والمسْك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

ثم العابد العَرِيُّ من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدُّقَّة والكِسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب ـ واللَّهِ ـ في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويُوسوسُ له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظُرُ إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وَليٌّ، صاحبُ كراماتٍ وتَمَكُّن، وربَّما حصل له شَكٌّ، وتزلزل إيمانه فالخلوة والجوع أبو جادِ التَّرهُّب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظُ اللسان، وملازمة الذكر، وتركُ مخالطةِ العامةِ، والبكاءُ على الخطيئة، والتلاوةُ بالترتيل والتدبر، ومَقْتُ النفس وذمُّها في ذاتِ الله، والإِكثار من الصوم المشروع، ودوامُ التهجُّد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم والسماحة وكثرةُ البِشْر، والإِنفاق مع الخَصاصَةِ، وقول الحقّ المُرّ برفق وتُؤَدةٍ، والأمرُ بالعُرف، والأخذُ بالعفو، والإِعراض عن الجاهلين، والرباطُ بالثَّغر، وجهادُ العدو، وحجُّ البيتِ، وتناوُل الطيباتِ في الأحايين، وكثرةُ الاستغفار في السَّحَرِ، فهذه شمائلُ

الأولياء، وصفاتُ المحمديّين، أماتَنا الله على محبَّتِهِم.

أحمدُ بن أبي الحَواريّ قال: كنتُ أسمعُ وكيعاً يبتدىءُ قبل أن يُحدِّث فيقول:

ما هنالك إلا عَفوُهُ، ولا نعيش إلا في سِتْرِهِ، ولو كُشِفَ الغطاء لكُشِفَ عن أمرٍ عظيم.

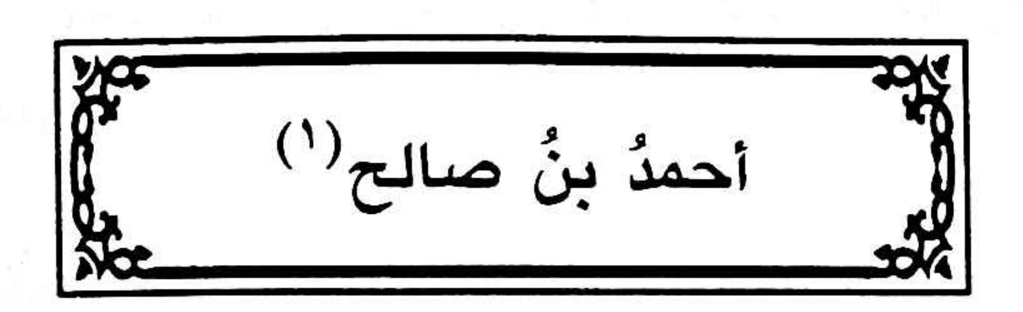
أبو الدحداح الدمشقيّ: حدثنا الحسينُ بن حامد أنَّ كتاب المأمون ورد على إسحاق بن يحيى بن معاذ أميرِ دمشق: أنْ أحضرِ المُحدِّثين بدمشق فامتحنهم. قال: فأَحْضَرَ هشامَ بنَ عمّار، وسليمان بن عبدالرحمٰن، وابن ذَكْوان، وابن أبي الحَواريّ، فامتحنهم امتحاناً ليس بالشديد فأجابوا خلا أحمد بن أبي الحَواري، فجعل يَرْفُق به، ويقول: أليس السماواتُ مخلوقةً؟ أليس الأرضُ مخلوقةً، وأحمدُ يأبى أن يُطيعه، فسجنه في دار الحِجارة، ثم أجاب بعدُ فأطلقه.

قال أحمدُ السُّلَمي في «محن الصوفية»:

أحمدُ بن أبي الحواريّ شهد عليه قومٌ أنَّه يُفَضِّلُ الأولياء على الأنبياء وبَذَلُوا الخُطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكةَ، وجاور حتى كَتب إليه السلطان يسألُهُ أن يرجع فرجع.

قلت: إن صحَّتِ الحكايةُ فهذا من كذبِهم على أحمد، وهو كان أعلم باللَّهِ من أن يقولَ ذلك.

توفي أحمد سنة ستٍ وأربعين ومئتين.



أحمدُ بنُ صالح[1]

الإمامُ الكبيرُ، حافِظُ زمانِه بالديار المصرية، أبو جعفر المصريُّ المعروف بابن الطبريِّ.

وُلِدَ بمصر سنة سبعين ومئة.

ذكره النسائيُّ يوماً، فرماه، وأساء الثناء عليه.

قال ابنُ يونس:

لم يكن عندنا بحمدِ الله كما قال النسائي، ولم يكن له آفةٌ غير الكِبْرِ.

وقال عبدالكريم بنُ النسائي عن أبيه:

أحمدُ بن صالح ليس بثقةٍ ولا مأمونٍ، تركه محمدُ بن يحيى، ورماه يحيى بن معين بالكذب.

قال ابن عدي:

أحمدُ بن صالح من حُفَّاظ الحديث، وخاصة

---

(١) انظر السير: ١٢/١٦٠ ـ ١٧٧.

لحديثِ الحجاز، ومن المشهورينَ بمعرفتِه، وحدّث عنه البخاريُّ مع شدَّةِ استقصائه ومحمدُ بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثيرٍ من حديث الحجاز، وحدَّث عنه مَن حدَّث من الثقاتِ، واعتمدوه حفظاً وإتقاناً.

وكلام ابن مَعين فيه تحاملٌ.

وأما سُوء ثَنَاء النَّسائي عليه، فسمعتُ محمدَ بن هارون بن حسان البَرقي يقولُ: هذا الخراسانيُّ يتكلَّم في أحمدَ بن صالح. وحضرتُ مجلسَ أحمدَ بن صالح، وطردهُ من مجلسه، فحمَلُه ذلك على أن تَكَلَّم فيه قال: وهذا أحمدُ بن حنبل قد أثنى عليه، فالقولُ ما قاله أحمدُ لا ما قاله غيره. ولولا أنّي شرطتُ في كتابي هذا أن أذكُر فيه كُلَّ من تَكَلَّم فيه متكلمٌ لكنتُ أجِلّ أحمد بن صالح أن أذكره.

قال الخطيب:

بلغني أنَّ أحمدَ بن صالح كان لا يُحدِّثُ إلا ذا لحيَةٍ ولا يتركُ أمردَ يحضُر مجلسه. فلما حمل أبو داود السِّجستاني إليه ابنَه ليسمع منه ـ وكان إذ ذاك أمرَد ـ أنكر أحمدُ بنُ صالح على أبي داود إحضاره. فقال له أبو داود: هو ـ وإنْ كان أمردَ ـ أحفظُ من أصحاب اللّحى، فامتحِنْه بما أردتَ. فسأله عن أشياءَ أجابَه ابنُ أبي داود عن جميعها، فحدَّثه حينئذ ولم يُحدِّث أمردَ غيره.

وقال ابنُ عدي: سمعتُ عبدالله بن محمد بن سَلْم المقدِسيّ يقولُ:

قدمتُ مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتابَ عمرو بن الحارث، ويونس بن يزيد والفوائد، ثم ذهبتُ إلى أحمد بن صالح فلم يُحدِّثني، فحملتُ كتاب يونس، فخرَّقْتُه بين يديه أُرضِيه بذلك - وليتني لم أُخَرِّقْه - فلم يرض، ولم يُحدِّثني.

قلتُ: نعوذ بالله من هذه الأخلاق. صدق أبو سعيد بن يونس حيث يقولُ: لم يكن له آفة غير الكِبْرِ، فلو قُدِح في عدالته بذلك، فإنه إثْمٌ كبير.

مات أحمدُ بن صالح سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئتين وقد كان أحمدُ بن صالح من جِلَّةِ المقرئين.

قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عَرْضاً وسماعاً عن ورش، وقالون، وروى حروفَ عاصمٍ عن خَرَمِيِّ بن عُمَارة.

قال أبو داود: سألتُ أحمدَ بن صالح عمن قال: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوق، ولا غير مخلوق. فقال: هذا شاكٌّ، والشاكُّ كافرٌ.

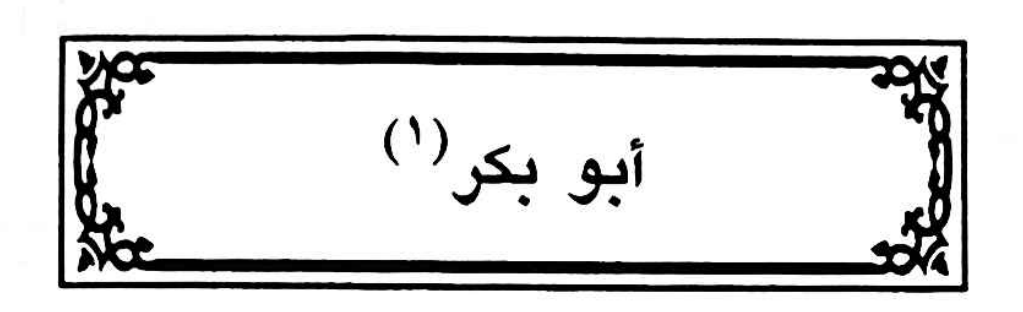
قلت: بل هذا ساكتٌ. ومن سكتَ تورُّعاً لا

يُنسَبُ إليه قولٌ، ومن سكت شاكًا مُزرياً على السَّلف، فهذا مُبتِدع.

وقال محمدُ بن موسى المصري: سألتُ أحمدَ بن صالح، فقلتُ:

إنَّ قوماً يقولون: إنَّ لفظنَا بالقرآن غيرُ الملفوظ، فقال: لفظنا بالقرآن هو الملفوظُ، والحكايةُ هي المحكيُّ، وهو كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوق، من قال: لفظي به مخلوقٌ فهو كافر.

قلتُ: إن قال: لفظي، وعنى به القرآن، فنَعَم، وإنْ قال: لفظي، وقَصَدَ به تلفُّظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق، فهذا مُصيبٌ، فاللَّهُ تعالى خالقُنا، وخالقُ أفعالِنا وأدواتِنا، ولكن الكَفُّ عن هذا هو السُّنَّة، ويكفي المرءَ أن يُؤمن بأنَّ القرآن العظيم كلامُ الله ووَحْيه وتنزيله على قلب نبيِّه وأنه غير مخلوقٍ، ومعلومٌ عند كلِّ ذي ذهنٍ سليم أنَّ الجماعة إذا قرؤوا السورة، أنهم جميعَهم قرؤوا شيئاً واحداً، وأن أصواتَهم وقراءاتِهم وحناجرَهم أشياءُ مختلفةٌ، فالمقروءُ كلامُ ربِّهم، وقراءتُهم وتلَفُّظهم ونغماتهم مُتباينة، ومن لم يتصوَّر الفرقَ بينَ التلفُّظ وبين الملفوظ، فَدَعْهُ وأعرض عنه.



أبو بكر[1]

عبدالله بن سليمان بن الأَشْعَث: الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبو بكر السِّجِسْتَانِي، صاحب التصانيف.

ولد بِسِجِسْتَان في سَنة ثلاثين ومئتين.

وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فَضّله على أبيه[2].

وكان يقول: دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مدّ باقلا[3]، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشَجّ، فما فرغ الباقلاّ حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مَقْطوعٍ ومُرْسَل.

---

(١) انظر السير: ١٣/٢٢١ ـ ٢٣٧.

(٢) أبوه هو الحافظ أبو داود صاحب السنن.

(٣) الباقلاء: باللهجة العراقية: الفول.

قال أبو بكر بن شَاذَان: قدم أبو بكر بن أبي داود سِجِسْتَان، فسألوه أن يحدثهم، فقال: ما معي أصل.

فقالوا: ابن أبي داودَ وأصلٌ!؟

قال: فأثاروني، فأمليت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث، فلما قدمت بغداد، قال البغداديون: مضى إلى سِجِسْتَان ولعب بهم، ثم فَيَّجوا فَيجاً[1] اكتروه بستة دنانير إلى سِجِسْتان، ليكتبَ لهم النُسْخَة، فَكُتِبَتْ، وجيء بها، وعُرِضت على الحفاظ، فخطّؤوني في ستة أحاديث، منها ثلاثة أحاديث حَدَّثْتُ بها كما حُدِّثْتُ، وثلاثة أخطأت فيها.

قال الحافظ أبو محمد الخلال:

كان ابن أبي داود إمامَ أهلِ العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخُ أسندُ منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

أبو حفص بن شاهين، قال:

أملى علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتاباً، إنما كان يملي حفظاً، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو مَعْمَر - بيده

---

(١) الفيج: الجماعة من الناس.

كتاب ـ فيقول له: حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتيَ على المجلسِ.

علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أبا داود يقول: ابني عبدالله كذّاب.

قال ابن صَاعد: كفانا ما قال فيه أبوه.

قال الحافظ ابن عدي:

كان في الابتداء ينسب إلى شيء من النَّصْب[1]، فنفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، فردّه ابن عيسى، فحدّث، وأظهر فضائل عليّ ثم تَحَنْبَلَ، فصار شيخاً فيهم.

قلت: كان شَهماً، قويَّ النفس، وقع بينه وبين ابن جرير، وبين ابن صاعد.

قلت: لعل قولَ أبيه فيه ـ إن صَحَّ ـ أراد الكذب في لهجته، لا في الحديث، فإنه حُجَّة فيما ينقله، أو كان يكذِب ويورِّي في كلامه، ومن زَعَمَ أنه لا يكذب أبداً، فهو أرْعَن، نسأل الله السلامة من عَثْرة الشَّباب، ثم إنه شاخ وارعَوَى، ولزم الصِّدق والتُّقى.

---

(١) النصب: أي بغضة علي رضي الله عنه، من نصب فلان لفلان نصباً، إذا قصد له، وعاداه، وتجرد له.

قال محمد بن عبدالله بن الشِّخِّير:

كان ابن أبي داود زاهداً ناسكاً، صلّى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثة مئة ألفِ إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخلّف ثلاثة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعاً وثمانين سنة، وصُلِّي عليه ثمانين مرة.

قال أبو أحمد بن عدي: سمعت عليَّ بن عبدالله الدَّاهِرِيَّ يقول: سألت ابن أبي داود عن حديث الطير[1]، فقال: إن صح حديث الطير فَنُبُوَّة النبي ﷺ

---

(١) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم له فرخ مشوي، فقال: «**اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير**»، فقلت: اجعله رجلاً من أهلي الأنصار، فجاء عليّ، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، ثم جاء، فقلت ذلك، فقال: اللّهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله ﷺ: «**افتح**»، فدخل فقال: «**ما حبسك يا علي؟**» فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرَّات يردني أنس، فقال: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال: «**إن الرجل محب قومه**». وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣/٣١٣، ٣١٤ (والفوائد المجموعة) ص٣٨٢. وسيذكر المصنف رأيه بعد قليل.

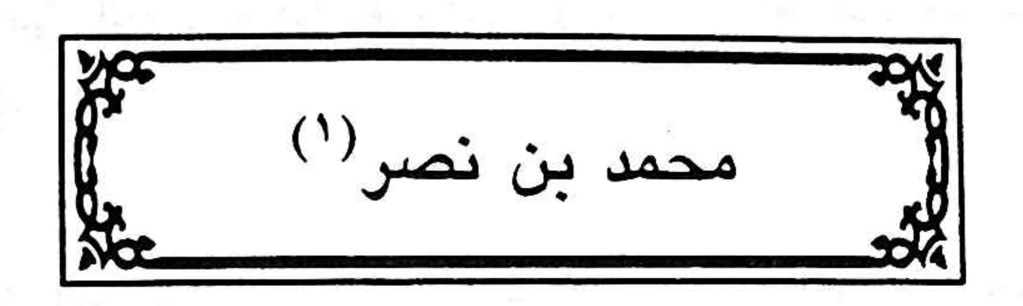
باطلٌ، لأنه حكى عن حاجب النبي ﷺ خيانةً - يعني أَنَساً - وحاجب النبي لا يكون خائناً.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نَحْسٌ، بل نبوَّة محمد ﷺ حقٌّ قطعيٌّ، إن صحَّ خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجْه الارتباط؟ هذا أنس قد خَدَمَ النبيَّ ﷺ قبل أن يحتلِمَ، وقبل جريانِ القلم، فيجوز أن تكونَ قصةُ الطَّائرِ في تلك المدة. فَرَضْنا أنه كان محتلماً، ما هو بمعصوم من الخِيانة، بل فَعَل هذه الجناية الخفيفة متأولاً، ثم إنه حَبَسَ علياً من الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستُجيبت، فلو حبسه، أو ردَّه مرّاتٍ، ما بقي يتصور أن يدخلَ ويأكلَ مع المصطفى سواه، اللَّهم إلا أن يكون النبي ﷺ قصد بقوله: «**إيتني بأحب خلقِك إليكَ، يأكلُ معي**» عدداً من الخِيار، يصدق على مَجموعهم أنهم أحبُّ النَّاسِ إلى الله، كما يصح قولنا: أَحبُّ الخلق إلى الله الصالحون، فيقال: فمن أحبُّهم إلى الله؟ فنقول: الصِّدِّيقون والأنبياء. فيقال: فمن أحبُّ الأنبياءِ كلُّهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخَطْبُ في ذلك يسير.

وأبو لُبَابةَ - مع جلالته - بدت منه خِيانةٌ، حيث أشار لبني قريظةَ إلى حَلْقِه، وتاب الله عليه.

وحَاطب بدت منه خيانة، فكاتب قُرَيشاً بأمر تَخَفَّى به نبيُّ اللَّهِ ﷺ من غزوهم، وغفر الله لحاطِب مع عِظَمِ فِعلِه رضي الله عنه.

وحديث الطّير - على ضعفه - فله طرق جَمَّة، وقد أفردتها في جُزْء، ولم يَثْبُتْ، ولا أنا بالمعتقدِ بُطْلاَنَه، وقد أخطأ ابن أبي داود في عِبارته وقوله، وله على خَطَئه أجر واحد، وليس من شرط الثّقةِ أن لا يُخطئ ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهو. والرجل فمن كبار علماءِ الإسلام، ومن أوثق الحفَّاظ - رحمه الله تعالى -.



محمد بن نصر[1]

ابن الحجَّاج المَرْوزيُّ الإمامُ، شيخُ الإسلام، أبو عبدالله الحافظ.

مولده ببغداد في سنة اثنتين ومئتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، كان أبوه مروزياً، ولم يرفع لنا في نسبه.

ذكره الحاكم فقال:

إمام عصره بلا مُدافعة في الحديث.

قلتُ: يُقال: إنه كان أعلم الأئِمَّةِ باختلاف العلماء على الإطلاق.

ومن كلام محمد بن نصر قال:

لما كانت المعاصي بعضُها كفراً وبعضُها ليس بكفر، فرَّق تعالى بينها، فجعلها ثلاثةَ أنواع: فنوع منها كفر، ونوع منها فُسُوق، ونوع منها عِصيان، ليس بكفرِ

---

(١) انظر السير: ١٤/٣٣ ـ ٤٠.

ولا فُسُوق. وأخبر أنه كرَّهَهَا كلَّها إلى المؤمنين، ولمّا كانت الطَّاعات كلُّها داخلةً في الإيمان، وليس فيها شيءٌ خارج عنه، لم يفرِّق بينها، فما قال حبب إليكم الإيمان والفرائضَ وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحجرات: ٧]، فدخل فيه جميع الطاعات، لأنه قد حبب إليهم الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حُبَّ تَدَيُّن، ويكرهون المعاصي كراهِيَةَ تَدَيُّن، ومنه قوله عليه السلام: «**من سَرَّتْهُ حسنتُه، وساءته سيِّئَتُهُ، فهو مُؤمِن**».

وقال أبو بكر الصِّبغي:

أدركت إمامين لم أُرزَقِ السماعَ منهما: أبو حاتم الرَّازي، ومحمد بن نصر المَرْوزي، فأما ابن نصر، فما رأيتُ أحسَنَ صلاةً منه، لقد بلغني أن زُنُبوراً قعد على جَبهَتِهِ فسال الدَّمُ على وجهه، ولم يتحرك.

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرَم:

ما رأيتُ أحسنَ صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أُذنِه، فيسيل الدَّمُ، ولا يَذُبُّه عن نفسه، ولقد كنَّا نتعجب من حُسن صَلاَته وخشوعه وهيئَتِهِ للصَّلاة، كان يضع ذَقنَهُ على صدره فينتصبُ كأنَّه خشبةٌ مَنصوبة. قال: وكان من أحسن الناس خَلقاً، كأنَّما فُقِيءَ في وجهه حبُّ الرُّمَّان، وعلى خدَّيه كالوَرد، ولحيتُهُ بيضاء.

عثمان بن جعفر اللَّبان: حدثني محمد بن نصر قال:

خرجتُ من مِصرَ ومعي جاريةٌ، فركبت البحر أريدُ مكَّة، فغرقتُ، فذهب مِنِّي ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحداً، وأخذني العطشُ فلم أقدِر على الماء، فوضعتُ رأسي على فَخِذِ جاريتي مُستسلماً للموت، فإذا رجلٌ قد جاءني ومعه كُوز، فقال لي: هاه. فشربتُ وسَقَيْتُها، ثم مضى، فما أدري من أين جاء؟ ولا مِن أينَ راح؟

ورُويَ عنه أنه قال:

لم يكن لي حسنُ رأي في الشَّافعي، فَبينَا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ، أغفيتُ، فرأيتُ الرسول ﷺ، في المنام فقلتُ: يا رسولَ الله! أكتب رأيَ الشَّافعيّ؟ فَطَأطَأَ رأسه شبهَ الغضبان وقال:

تقول رأي؟ ليس هو بالرَّأي، هو ردٌّ على من خالف سُنَّتي.

فخرجتُ في أثر هذه الرُّؤيا إلى مِصر، فكتبتُ كُتُبَ الشَّافعي.

قال الوزير أبو الفَضل محمد بن عبيدالله البَلعَمِيّ: سمعتُ الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كنتُ بِسَمَرقَند، فجلست يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق إلى جنبي، إذ دخل أبو عبدالله محمد بن نصر، فقمت له إجلالاً للعلم، فلمَّا خرج عاتبني أخي وقال:

أنت والي خُراسان تقوم لرجلٍ من الرَّعِيَّة؟ هذا ذهابُ السِّياسة.

قال: فبِتُّ تلك الليلة وأنا متقسِّمُ القلب، فرأيتُ النَّبي ﷺ في المنام، كأنِّي واقف مع أخي إسحاق، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعَضُدي فقال لي: ثبتَ ملكُك وملكُ بَنِيك بإجلالك محمدَ بنَ نَصر، ثم التفتَ إلى إسحاق، فقال: ذهب ملكُ إسحاق، وملك بنيهِ باستخفافه بمحمدِ بنِ نصر.

ومات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جزرة وذلك سنةَ أربع وتسعينَ ومئتين.

قال الحافظ أبو عبدالله بن مَندَة في مسألة الإيمان:

صَرَّحَ محمد بن نصر في كتاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأنَّ الإقرار، والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. ثم قال: وهَجَرَه على ذلك علماءُ وَقتِهِ وخالفهُ أئِمَّةُ خُراسان والعراق.

قلتُ: الخوضُ في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يُقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفُّظُ بالقرآن غيرُ مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمانُ: فقول وعمل، والقراءةُ والتلفظُ: من كسب القارىء، والمقروءُ الملفوظ: هو كلامُ الله ووحيُه وتَنزِيلُه، وهو غير مخلوق وكذلك كلمة الإيمان، وهي

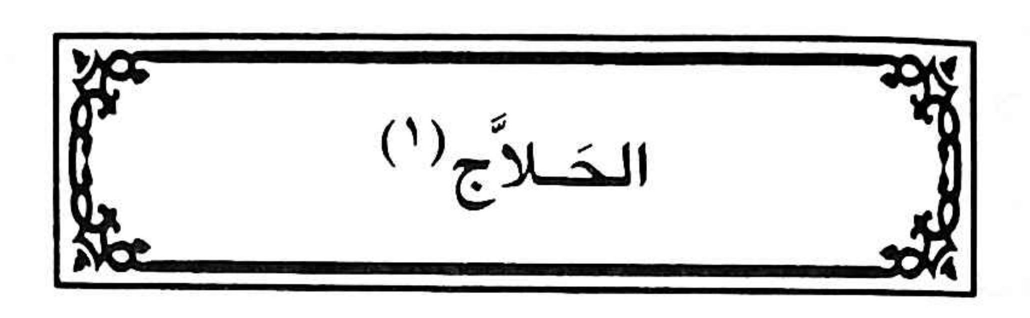
قول: «لا إلٰه إلاَّ الله، محمدٌ رسول الله» داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلُّم بها من فِعلنا وأفعالُنا مخلوقة، ولو أنَّا كُلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له، قُمنا عليه، وبدَّعْناه، وهجرناه، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نَصر، ولا ابنُ مَندةَ، ولا من هو أكبرُ منهما، واللَّهُ هو هادي الخَلق إلى الحق، وهو أرحمُ الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.

وقال أبو محمد بن حَزم في بعض تواليفه:

أعلمُ النَّاسِ من كان أجمَعَهُم للسُّنَن، وأضبَطَهُم لها، وأذكَرَهُم لمعانيها، وأدراهُم بصحَّتها وبما أجمع الناسُ عليه ممَّا اختلفوا فيه.

وقال: وما نعلمُ هذه الصِّفةَ - بعد الصحابة - أتَمَّ منها في محمَّدِ بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليسَ لرسول الله ﷺ حديثٌ ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بنِ نصر، لما أبعد عن الصِّدق.

قلتُ: هذه السَّعَةُ والإحاطةُ ما ادَّعاها ابنُ حَزمٍ لابن نصر إلا بعدَ إمعانِ النَّظر في جماعة تصانيفَ لابنَ نَصر، ويمكن ادِّعاء ذلك لمثل أحمدَ بنِ حَنبَل ونُظَرائِهِ، والله أعلم.



الحَـلاَّج[1]

هو الحسينُ بن منصور بن مَخمِي، أبو عبدالله، الفارسيُّ البيضاويُّ الصُّوفيّ، والبيضاء: مدينة ببلاد فارس، وكان جَدُّه مَحمِيٌّ مجوسيًا.

وكان يصحح حالَه أبو العبَّاس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيمُ أبو القاسم النَصر آباذي.

وتبرأ منه سائرُ الصوفيَّة والمشايخِ والعلماءِ لِمَا سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحُلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشَّعبَذَة والزَّوْكرة، وقد تستر به طائفةٌ من ذوي الضلال والانحلال وانتحلوه وروَّجوا به على الجهال، نسأل الله العِصمة في الدين.

قال أبو نصر السَّراج:

صحب الحلاَّجُ عمرَو بن عثمان، وسرق منه كتباً

---

(1) انظر السير: ١٤/٣١٣ ـ ٣٥٤.

فيها شيء من علم التصوف، فدعا عليه عمرو: اللهم اقطع يديه ورجليه.

قال ابن الوليد: كان المشايخُ يستثقلون كلامه، وينالون منه لأنه كان يأخذ نفسه بأشياءَ تخالف الشريعة، وطريقة الزهاد، وكان يدَّعي المحبة لله، ويظهر منه ما يخالف دعواه.

قلت: ولا ريب أن اتِّبَاعَ الرسولِ ﷺ عَلَمٌ لمحبة الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال السلمي: سمعت أبا عليٍّ الهَمَذانيَّ يقول: سألت إبراهيم بن شيبان عن الحلاَّج، فقال:

من أحبَّ أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي الفاسدة فلينظر إلى الحلاَّج وما صار إليه.

قال النديم:

كان يعرف في الكيمياء، وكان مِقداماً جسوراً على السلاطين، مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدُّول، ويدعي عند أصحابه الإلٰهيَّة، ويقول بالحُلول، ويُظهر التشيُّعَ للملوك، ومذاهبَ الصُّوفيَّة للعامّة، وفي تضاعيف ذلك يدَّعي أن الإلٰهية حلَّت فيه، تعالى الله وتقدس عما يقول.

قال التَّنُوخي: أخبرنا أبي قال:

من مخاريق الحلاَّج: أنه كان إذا أراد سفراً ومعه من يتنمَّسُ عليه ويَهُوسُه، قدَّم قبل ذلك من أصحابه

الذين يَكشفُ لهم الأمر، ثم يمضي إلى الصحراء، فيدفن فيها كَعكاً، وسُكَّراً وسَويقاً، وفاكهةً يابسة، ويعلِّم على مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا قال أصحابه:

نريد الساعة كذا وكذا. فينفرد ويُري أنَّه يدعو، ثم يجيءُ إلى الموضع فيخرجُ الدَّفين المطلوب منه، أخبرني بذلك الجَمُّ الغفير، وأخبروني قالوا:

ربما خرج إلى بساتين البلد، فيقدِّم من يدفن الفالوذَجَ الحار في الرُّقاق، والسَّمك السُّخن في الرُّقاق، فإذا خرج طلب منه الرجل - في الحال - الذي دفنه، فيخرجه هو.

وقال التنوخي:

أخبَرَنا أبي: سمعت أحمد بن يوسف الأزرق: أن الحلاَّج لما قدم بغداد استغوى خلقاً من الناس والرؤساء، وكان طمعُهُ في الرَّافضة أقوى لدخوله في طريقهم، فراسل أبا سهل بن نوبخت يَستغويه وكان أبو سهلٍ فَطِناً، فقال لرسوله:

هذه المعجزات التي يظهرها يمكن فيها الحِيل، ولكني رجلٌ غزِل، ولا لذَّةَ لي أكبر من النساء، وأنا مبتلىً بالصَّلع، فإن جعل لي شعراً وردَّ لحيتي سوداء، آمنتُ بما يدعوني إليه وقلتُ: إنّه بابُ الإمام، وإن شاء قلت: إنّه الإمام، وإن شاء قلت: إنَّه النبيُّ، وإن شاء

قلت: إنّه الله، فأيسَ الحلاَّجُ منه وكفَّ.

وقال الفقيه أبو علي بن البَنّاء:

كان الحلاَّجُ قد ادَّعى أنَّه إلٰه وأنه يقول بحلول اللاهوتِ في النَّاسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده - إذ سأله - يُحِسنُ القرآن والفِقهَ ولا الحديثَ. فقال:

تعلُّمُكَ الفرضَ والطَّهور أجدى عليك من رسائلَ لا تَدري ما تقول فيها. كم تكتبُ - ويلك - إلى النَّاس: تبارك ذو النُّور الشَّعشَاني؟! ما أحوجَك إلى أدب! وأمر به فصُلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إنِّي مُغرِق قوم نوح، ومُهلِك عاد وثمود.

وكان يقول للواحد من أصحابه: أنت نُوح، ولآخر: أنت مُوسى، ولآخر: أنت مُحمد.

وقال محمد بن يحيى الرازي:

سمعتُ عَمرو بن عثمان يلعنُ الحلاَّج ويقول: لو قَدَرتُ عليه لقتلتُهُ بيدي.

فقلت: أيش وَجَدَ الشَّيخ عليه؟

قال: قرأتُ آية من كتاب الله فقال: يُمكنُني أن أؤلِّفَ مثلَه.

وقال أبو يعقوب النُّعماني سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الفقيه يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيِّه حقاً فما يقول الحلاَّج باطل. وكان شديداً عليه.

أبو القاسم التّنوخي: أخبرنا أبي: حدثني حسين بن عباس عمَّن حضر مجلس حامد وجاؤوه بدفاتر الحلاَّج، فيها:

إنَّ الإنسان إذا أراد الحجَّ فإنه يستغني عنه بأن يعمدَ إلى بيتٍ في داره، فيعملِ فيه مِحراباً، ويغتسل ويُحرم ويقول كذا وكذا، ويُصلِّي كذا وكذا، ويطوفُ بذلك البيت، فإذا فرغ فقد سقط عنه الحج إلى الكعبة، فأقرَّ به الحلاَّج وقال: هذا شيءٌ رويتُهُ كما سمعته، فتعلَّق بذلك عليه الوزير، واستفتى القاضِيَيْن: أبا جعفر أحمد بن البُهْلول، وأبا عمر محمد بنَ يوسف، فقال أبو عمر:

هذه زَندَقة يجبُ بها القتل.

وقال أبو جعفر:

لا يجبُ بهذا قتلٌ إلا أن يُقِرَّ أنَّه يعتقدُه، لأن النَّاس قد يروون الكفرَ ولا يعتقدونَه، وإن أخبر أنَّه يعتقده استُتِيبَ منه، فإن تاب فلا شيء عليه، وإلا قُتل، فعمل الوزير على فتوى أبي عمر على ما شاع وذاع من أمره، وظهرَ من إلحاده وكُفره فاستُؤذِن المقتدر في قتله، وكان قد استغوى نَصراً القشوريَّ من طريق الصَّلاح والدِّين، لا بما كان يدعو إليه، فخوّف نصرٌ السيدةَ أمَّ المقتدرِ من قتله وقال: لا آمن أن يلحقَ ابنَكِ عقوبةُ هذا الصَّالح. فمنعت المقتدر من قتله، فلم

يقبل، وأمر حامداً بقتله، فحُمَّ المقتدر يومه ذلك، فازداد نصرٌ وأمُّ المقتدرِ افتتاناً، وتشكَّك المقتدر، فأنفذ إلى حامد يمنعه من قَتله، فأخر ذلك أياماً إلى أن عُوفي المقتدر، فألح عليه حامد وقال:

يا أميرَ المؤمنين: هذا إن بقيَ قلَبَ الشَّريعة، وارتدَّ خلقٌ على يده، وأدَّى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعني أقتلْه، وإن أصابك شيءٌ فاقتُلني. فأذن له في قتله، فقَتَله من يومه، فلما قُتل قال أصحابه: ما قُتل وإنَّما قُتِلَ بِرذَوْنٌ كان لفلان الكاتب، نَفَقَ(١) يومئذ وهو يعود إلينا بعد مُدَّة، فصارت هذه الجَهالةُ مقالةَ طائفة.

قال: وكان أكثر مخاريق الحلاَّج أنه يُظهرها كالمعجزات، يستغوي بها ضَعَفَة النَّاس.

ثم قُطعت يدُه، ثم رجلُه، ثم حُزَّ رأسُه، وأحرقت جُثَّته، ونصب الرأسُ يومين ببغداد، ثم حُمِلَ إلى خُراسان وطيف به. وأقبل أصحابُه يعِدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

قال السلمي:

وحُكي عنه أنه رُؤيَ واقفاً في الموقف، والنَّاس في الدُّعاء، وهو يقول: أنزِّهك عما قَرَفَكَ به عبادك، وأبرأ إليكَ مما وحَّدك به الموحِّدون.

---

(١) أي: مات، والبرذون: دابة مثل البغل.

قُلت: هذا عينُ الزندقة، فإنَّه تبرأ مما وحَّد اللَّهَ به الموحِّدون الذين هم الصحابة والتَّابعون وسائرُ الأمَّة، فهل وحَّدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله ﷺ: «**من قالها من قَلبِهِ، فقد حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ**». وهي: شهادة أن لا إلٰه إلاَّ الله وأن محمّداً رسول الله. فإذا برىء الصُوفيُّ منها فهو ملعون زِنديق، وهو صوفي الزِّيّ والظَّاهر، مُتستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفيّة الفلاسفة أعداء الرُّسلِ كما كان جماعة في أيّام النبي ﷺ منتسبون إلى صُحبَتِه وإلى ملَّتِه، وهم في الباطن من مَرَدَةِ المنافقين، وقد لا يعرفهم نبي الله ﷺ، ولا يعلم بهم. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١].

فإذا جاز على سيِّد البشر أن لا يعلمَ ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فالأولى أن يخفى حالُ جماعةٍ من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته، فما ينبغي لك يا فقيهُ أن تُبادر إلى تكفير المسلم إلاّ ببرهان قَطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العِرفانَ والولايةَ فيمن قد تبرهن زَغَلُه، وانهتك باطنُهُ وزَندقتهُ، فلا هذا ولا هذا، بل العدلُ أنَّ من رآه المسلمون صالحاً محسناً، فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذِ

الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مُبطِلاً، فهو كذلك، وأنَّ من كان طائفةٌ من الأمة تُضَلِّلُه، وطائفةٌ من الأمّةِ تُثني عليه وتبجِّلُه، وطائفة ثالثة تقِفُ فيه وتتورَّع من الحطِّ عليه، فهو ممَّن ينبغي أن يُعرَض عنه، وأن يُفوَّضَ أمرُه إلى الله، وأن يُستغفَرَ له في الجملة، لأن إسلامَهُ أصليٌّ بيَقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريحُ ويصفو قلبُك من الغِلِّ للمؤمنين.

ثم اعلم أنَّ أهل القِبلة كلَّهم، مؤمنَهم وفاسقَهم وسُنِّيَّهُم ومُبتدِعَهُم ـ سوى الصحابة ـ لم يُجمعوا على مسلم بأنَّه سعيد ناج، ولم يُجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك، فهذا الصِّديق فرد الأمَّة، قد علمتَ تفرُّقهم فيه وكذلك عُمَر، وكذلك عثمان، وكذلك عليّ، وكذلك ابنُ الزبير، وكذلك الحجَّاج، وكذلك المأمون، وكذلك بشر المَرِيسيّ، وكذلك أحمدُ بن حنبل والشافعيّ، والبُخاريّ، والنَّسائيّ، وهلمَّ جراً من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا، فما من إمام كامل في الخير إلا وثَمَّ أناسٌ من جهلة المسلمين ومبتَدعيهم يذمُّونه ويحطُّون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرَّفضِ إلا وله أناس ينتصرون له، ويَذُبُّون عنه، ويَدينون بقوله بهوًى وجهل، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصفين بالورع والعلم.

فتدبر - يا عبدالله - نِحْلَةَ الحلاَّج الذي هو من رؤوس القرامِطةِ ودعاة الزندقة، وأنصِف وتورَّع واتَّق ذلك، وحاسِب نفسَك، فإن تبرهن لك أنَّ شمائل هذا المرء شمائلُ عدوٍ للإسلام، محبٍ للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نِحلته، وإن تبرهن لك والعياذُ بالله، أنَّه كان - والحالة هذه - محقاً هادياً مهديًا فجدِّد إسلامَك واستغث بربِّك أن يوفِّقَك للحقِّ وأن يثبِّتَ قلبَك على دينه فإنَّما الهدى نور يقذفُه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله.

وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رُمِيَ به، أرحت نفسك، ولم يسألْكَ اللَّهُ عنه أصلاً.

وقال أبو عمرَ بن حَيوة:

لما أُخرجَ الحلاَّجُ ليُقتل، مضيتُ وزاحمتُ حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يَهُولنَّكم، فإني عائدٌ إليكمْ بعد ثلاثين يوماً.

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاَّج مُمَخْرِق كذَّاب، حتى عند قتله.

وقال الصُّولي:

قيل إنَّه كان في أول أمره يدعو إلى الرِّضى من آل محمد، وكان يُري الجاهل أشياء من شَعبَذتِه، فإذا وثِق منه دعاه إلى أنَّه إلٰه.

وقال ابن باكويه:

سمعت ابنَ خفيف يُسأل: ما تعتقدُ في الحلاَّج؟

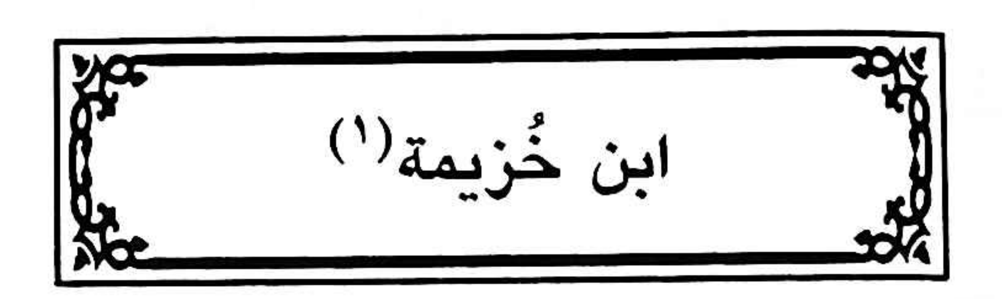
قال: أعتقد أنَّه رجل مِن المسلمينَ فقط.

فقيل له: قد كفَّره المشايخ وأكثرُ المسلمين.

فقال: إن كان الذي رأيتُهُ منه في الحبس لم يكن توحيداً، فليس في الدُّنيا توحيد.

قلت: هذا غلط من ابن خفيف، فإِن الحلاَّج عند قتله ما زال يوحِّدُ الله ويصيح: الله الله في دمي، فأنا على الإسلام. وتبرَّأ مما سوى الإسلام. والزنديقُ فيوحِّد الله علانية، ولكن الزَّندقة في سِرِّه، والمنافقون فقد كانوا يوحِّدون ويصومون ويُصلُّون علانية، والنفاقُ في قلوبهم، والحلاَّج فما كان حماراً حتى يُظهرَ الزندقةَ بإِزاء ابنِ خفيف وأمثاله، بل كان يبوحُ بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن يكون تزندق في وقت، ومَرَق وادَّعى الإلٰهية، وعملِ السِّحر والمخاريق الباطلة مدَّة، ثمَّ لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر أسلمَ ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبرأ إلى الله منها، فإِنَّها محضُ الكفر، نسأل الله العفوَ والعافية.

كان مقتل الحلاَّج في سنة تسعِ وثلاث مئة.



ابن خُزيمة[1]

محمد بن إسحاق بن خُزيمة، الحافظ الحجَّة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمّة، أبو بكر السُّلميُّ النَّيسابوريُّ الشافعيّ، صاحب التصانيف.

وُلِدَ سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين، وعُنِيَ في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثلُ في سَعَة العلم والإتقان.

قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحِيري: حدثنا ابن خُزيمة قال:

كنت إذا أردت أن أُصنِّفَ الشَّيءَ أدخُلُ في الصلاة مُستخيراً حتى يُفتَحَ لي، ثم ابتدىء التَّصنيف، ثم قال أبو عثمان:

إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكرٍ محمد بن إسحاق.

---

(١) انظر السير: ١٤/٣٦٥ ـ ٣٨٢.

الحاكم: أخبرنا أبو بكر محمدُ بنُ جعفر، سمعت ابن خُزيمة وسُئل: من أينَ أُوتيتَ العِلم؟

فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ لَه**» وإنّي لما شربتُ سألت اللّهَ علماً نافعاً.

قال محمد بن سهل الطوسي: سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا:

هل تعرفون ابن خزيمة؟

قُلنا: نعم.

قال: استفدنا منه أكثرَ ممَّا استفاد منا.

قال محمد بن الفضل بن محمد: سمعت جدي يقول:

استأذنت أبي في الخروج إلى قُتيبة، فقال: اقرأ القرآنَ أولاً حتى آذنَ لكَ، فاستظهرتُ القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلِّيَ بالخَتمة، ففعلت، فلما عيَّدنا، أذن لي فخرجت إلى مرو، وسمعت بِمَرو الرُّوذِ من محمد بن هشام صاحب هُشَيم، فنُعي إلينا قُتيبة.

قال الحافظ أبو علي النيسابوري:

لم أر أحداً مثل ابنِ خزيمة.

قلتُ: يقول مثل هذا وقد رأى النَّسائي.

قال أبو أحمد حُسينك: سمعت إمام الأئِمَّة أبا

بكر[1] يَحكي عن عليٍّ بن خَشْرَم، عن ابن راهويه، إنَّه قال: أحفظ سبعين ألف حديث، فقلت لابن خزيمة: كم يحفظ الشَّيخ؟

فضربني على رأسي وقال: ما أكثَرَ فضولَك! ثم قال:

يا بُني! ما كتبت سوداء في بياض، إلاَّ وأنا أعرفه.

قال أبو عليٍّ الحافظ:

كان ابن خُزيمةَ يحفظ الفقهيّاتِ من حديثه كما يحفظ القارىء السُّورة.

حكى أبو بشر القَطَّان قال:

رأى جار لابن خُزيمة - من أهل العلم - كأن لوحاً عليه صورة نبينا ﷺ وابنُ خزيمة يصقُلُه.

فقال المعبِّر: هذا رجلٌ يُحيي سنَّةَ رسولِ اللّهِ ﷺ.

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العَنْبري: سمعتُ ابنَ خُزيمة يقول:

ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صحَّ الخبر.

قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانىء: سمعتُ ابن خُزيمة يقول: من لم يُقرَّ بأنَّ الله على

---

(١) هو ابن خزيمة.

عرشه قد استوى فوقَ سبعِ سماواته فهو كافر حلالُ الدَّم، وكان ماله فَيئاً.

قلت: مَن أقرَّ بذلك تصديقاً لكتاب الله، ولأحاديث رسول الله ﷺ، وآمن به مفوّضاً معناه إلى الله ورسوله، ولم يخُض في التأويل ولا عمَّق، فهو المسلم المتَّبع، ومن أنكر ذلك، فلم يدرِ بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصِّرٌ، والله يعفو عنه، إذ لم يوجب اللَّهُ على كل مسلم حِفْظَ ما ورد في ذلك ومن أنكر ذلك بعد العلم، وقَفا غير سبيلِ السَّلَفِ الصالح، وتمعقل على النَّص، فأمرُهُ إلى الله، نعوذ بالله من الضلال والهوى.

وكلام ابن خزيمة هذا ـ وإن كان حقاً ـ فهو فَج، لا تحتملُهُ نفوسُ كثيرٍ من متأخري العلماء.

ولابن خُزيمةَ عظمةٌ في النُّفوس، وجلالةٌ في القلوب لعلمه ودينه واتِّبَاعِه السُّنَّة.

وكتابُهُ في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأوَّل في ذلك حديث الصُّورة[1].

---

(١) حديث الصورة، أخرجه البخاري في «صحيحه» ٢/١١ أول الاستئذان، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، وأحمد: ٢/٣١٥، وابن خزيمة في «التوحيد» ٣٩ ـ ٤٠ من طريق معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«خلق الله آدم على** =

فلْيُعذَرْ من تأوَّل بعض الصفات، وأما السَّلف، فما خاضوا في التَّأويل، بل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا علمَ ذلك إلى اللَّهِ ورسوله، ولو أن كُلَّ من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوخِّيه لاتُباع الحقّ - أهدرناه، وبَدَّعناه، لقلَّ مَنْ يَسْلَم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بِمَنِّه وكَرَمِه.

سُئل عبدالرحمٰن بنُ أبي حاتم عن أبي بكر بنِ خُزيمة فقال:

وَيحكم! هو يُسأل عنَّا ولا نُسأل عنه! هو إمام يُقتدى به.

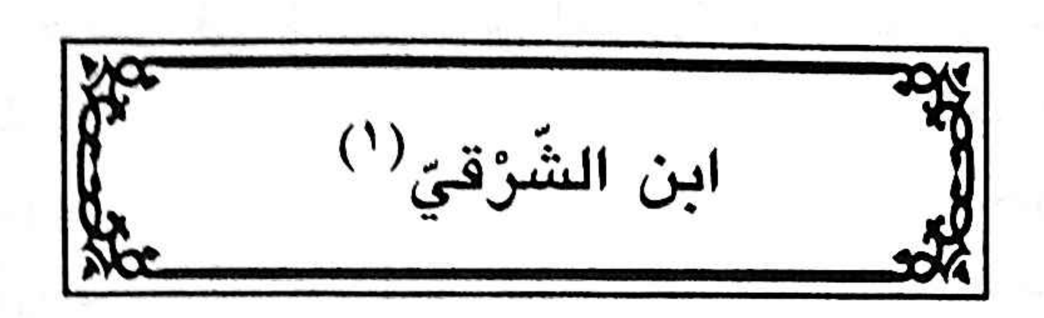
وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال:

رأيت ابن خُزيمةَ في النَّوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: كذا قال لي جبريل في السَّماء.

وفاته في سنة إحدى عشرة وثلاث ومئة، عاش تسعاً وثمانين سنة.

= **صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب، فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده: (ورحمة الله) فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».**

وراجع ما كتبه الحافظ ابن حجر عن عود الضمير في «صورته» في الفتح: ٥/١٣٣، ٦/٢٦٠، ١١/٢ - ٣.



ابن الشّرْقيّ[1]

الإمامُ العلاَّمة الثّقة، حافظ خُرَاسان، أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسَن النّيسَابوريُّ ابن الشّرْقي، صاحب «الصَّحيح» وتلميذ مُسْلم.

ذكره أبو عبدالله الحاكم فقال:

هو واحدُ عَصْره حِفْظاً وإتقاناً ومعرفةً.

قال الحاكم: سمعتُ الحسين التَّميميَّ، سمعت ابنَ خزيمةَ يقول ـ ونَظَرَ إلى أبي حامد ابن الشَّرْقي ـ فقال:

حياةُ أبي حامد تحجُزُ بين النَّاس، وبين الكذبِ على رسولِ الله ﷺ.

---

(١) انظر السير: ١٥/٣٧ ـ ٣٩.

قلت: يعني: أنه يعرفُ الصحيحَ وغيرَه مِنَ الموضوع.

السُّلَمي: سألتُ الدَّارَقُطْنِي عن أبي حامد ابنِ الشَّرقي فقال:

ثِقَة مأمون إمامٌ.

قلتُ: لِمَ تكلَّم فيه ابنُ عُقْدَةَ؟

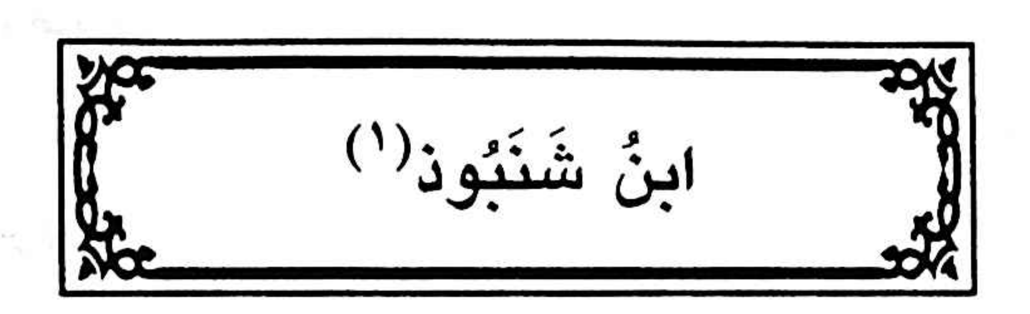
فقال: سبحانَ الله ترى يؤثِّر فيه مِثْلُ كلامِه، ولو كانَ بَدَلَ ابن عُقُدَة يحيى بنُ معين.

فقلتُ: وأبو عليّ؟

قالَ: وَمَنْ أبو عليّ حتَّى يُسمَعَ كلامُهُ فيه.

وقال الخَليليُّ: هو إمامُ وقته بلا مُدَافعة.

مات سنةَ خمسٍ وعشرين وثلاثِ مئة.



ابنُ شَنَبُوذ[1]

شيخُ المُقْرئين، أبو الحسن، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيّوبَ بنِ شَنَبُوذ، المُقْرىء، أكثَرَ التّرحالَ في الطَّلَبِ.

وكان إماماً صَدوقاً أميناً مُتَصوِّناً، كبيرَ القَدْرِ.

اعْتَمَدَهُ أبو عمرو الدّاني، والكبارُ، وثُوقاً بِنقْلِه وإتقانه، لكنَّه كان له رأيٌ في القِرَاءةِ بالشَّوَاذِّ التي تُخَالف رَسْمَ الإمامِ، فَنَقَمُوا عليه لذلك. وبالغوا وعزَّرُوه. والمسألةُ مختَلَفٌ فيها في الجُمْلَةِ.

وما عارَضُوه أصلاً فيما أقْرأ به ليعقوبَ[2]، ولا لأبي جعفر[3]، بل فيما خرج عن المُصحِفِ العُثمانيِّ.

---

(١) انظر السير: ١٥/٢٦٤ ـ ٢٦٦.

(٢) يعقوب بن إسحاق، أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥هـ.

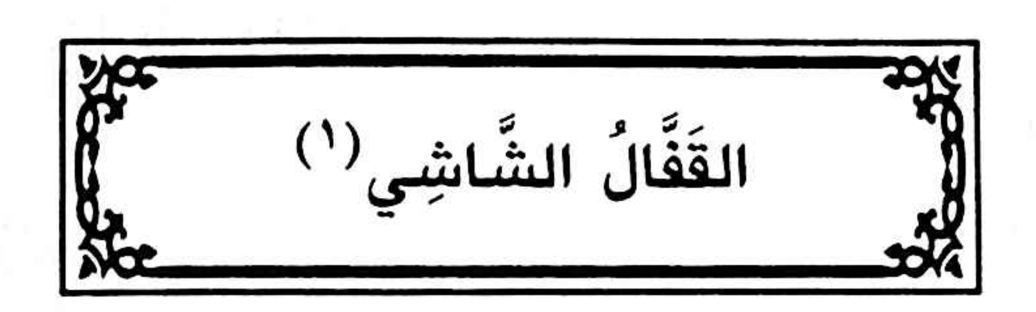
(٣) أبو جعفر المخزومي، يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر توفي سنة ١٣٠.

وقد ذَكَرْتُ ذلك مطوَّلاً في طبقات القُرَّاء.

قال أبو شامةَ:

كان الرِّفْقُ بابن شَنَبوذَ أَوْلى، وكان اعتقَالُه وإغلاظُ القَوْلِ له كافياً. وليس كان بمصيب فيما ذَهَبَ إليه، لكن أخطاؤه في واقعةٍ لا تُسقط حَقَّه من حُرْمة أهْلِ القُرآنِ والعِلْم.

مات سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وهو في عَشْرِ الثمانين أو جَاوَزَهُ.



القَفَّالُ الشَّاشِي[1]

الإِمامُ العلاّمة، الفقيهُ الأصوليُ اللُغويّ، عالمُ خُراسان أبو بكر محمد بن عليّ بن إسماعيل الشاشيُّ الشافعيُّ القَفَّالُ الكبير، إمامُ وَقتِه بما وراء النَّهر، وصاحبُ التصانيف.

أرخ وفاته الحاكم في سنة خمس وستين وثلاث مئة بالشاش.

قال أبو الحسن الصَّفَّار: سمعتُ أبا سَهلِ الصُعلُوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال: قدَّسَهُ من وَجه، ودنَّسهُ من وَجْهٍ، أي: دنَّسهُ من جهة نَصْره للاعتزال.

قلتُ: الكمالُ عزيزٌ، وإنما يمدحُ العالم بكثرةِ ماله من الفضائل، فلا تُدفن المحاسنُ لورطة، ولعلّه رجع

---

(١) انظر السير: ٢٨٣/١٦ ـ ٢٨٥.

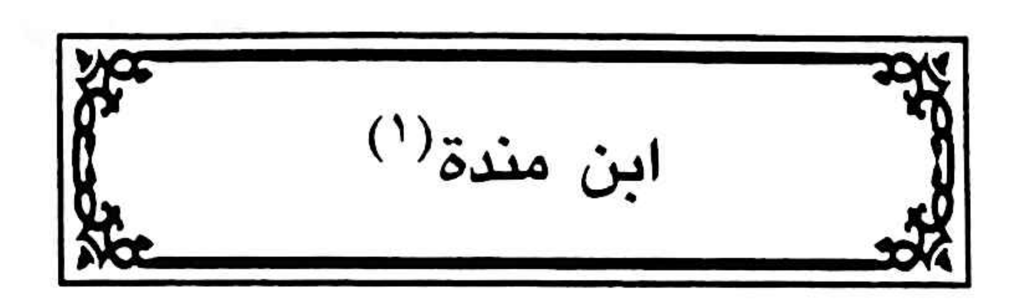
عنها. وقد يُغفر له باستفراغه الوُسْعَ في طلب الحقّ، ولا قوة إلا بالله.

قال أبو بكر البَيْهَقيّ في «شعب الإيمان» أنشدنا أبو نصر بنُ قَتادة، أنشدنا أبو بكرِ القفال:

أوسِّعُ رَحْلي على مَن نَزَلْ
وَزَادِي مُبَاحٌ عَلى مَن أكل

نُقدِّمُ حاضِرَ ما عِندَنا
وإن لَمْ يَكُن غيرَ خُبزٍ وخَلّ

فأمَّا الكريمُ فيَرضَى بهِ
وأمَّا اللَّئيمُ فَمَنْ لَمْ أُبَل



ابن مندة[1]

الإِمامُ الحافظ الجوَّال، محدِّثُ الإسلام، أبو عبدالله، محمدُ بن المحدث أبي يعقوب إسحاقَ بنِ الحافظ أبي عبدالله محمد بن يحيى بن مندة.

واسم مندة إبراهيمُ بن الوليد بن سَنْدة بن بطَّة بن أُستندار بن جهاربُخْت وقيل: إنّ اسم أستندار هذا فيرُزان، وهو الذي أسلم حين افتتح أصحابُ رسول الله ﷺ أصبَهان، وولاؤه لعبدِالقيس، وكان مجوسيًا، فأسلم، ونابَ على بعض أعمال أَصْبَهان، العبديُّ الأصبهانيُّ الحافظُ صاحبُ التصانيف.

مولده في سنة عشر وثلاث مئة.

ولم أعلم أحداً كان أوسعَ رحلةً منه، ولا أكثرَ

(١) انظر السير: ١٧/٢٨ ـ ٤٣.

حديثاً منه مع الحفظ والثقة، فبَلَغَنا أنَّ عدَة شُيوخِه ألفٌ وسبعُ مئةِ شيخ.

قال الحاكم: قال شيخُنا أبو علي الحافظ:

بنو مَنْدةَ أعلامُ الحُفّاظ في الدنيا قديماً وحديثاً، ألا ترون إلى قريحة أبي عبدالله.

وقيل: إنَّ أبا نُعيم الحافظ ذُكر له ابنُ مَنْدة، فقال: كان جبلاً من الجبال. فهذا يقوله أبو نُعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه[1].

وقال أبو نُعيم في «تاريخ أصبهان»:

ابنُ مَنْدة حافظ من أولاد المُحدِّثين، اختلط في آخر عُمُره، وتخبط في أماليه، ونسبَ إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا بها، نسألُ اللَّهَ الستر والصيانة.

قلت: لا نعبأُ بقولكَ في خصمكَ للعداوةِ السائرة، كما لا نسمعُ أيضاً قولَه فيك، فلقد رأيت لابنِ مَنْدة حَطًّا مُقذعاً على أبي نُعيم وتبديعاً، وما لا أُحبُّ ذِكْرَه، وكلٌّ منهما فصدوق في نفسه، غيرُ مُتهمٍ في نقله بحمد الله.

---

(١) وهي بسبب الخلاف المتأجج بين العلماء وقتئذ حول قضية اللفظ بالقرآن، أهو مخلوق أم غير مخلوق.

قلت:

بقي أبو عبدالله في الرحلة بضعاً وثلاثين سنةً.

قال الباطرقاني: سمعتُ أبا عبدالله يقولُ:

طفت الشرقَ والغربَ مرتين.

قال الباطِرْقاني:

وكنتُ مع أبي عبدالله في الليلةِ التي تُوفي فيها، ففي آخر نَفَسِه قال واحد منا: لا إلٰه إلاَّ الله - يُريد تلقينه - فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة. أي: اسكت يُقالُ لي مثلُ هذا؟!

مات ابنُ مَنْدة سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مئة.

وما علمتُ بيتاً في الرُّواة مثلَ بني مندة، بقيت الروايةُ فيهم من خلافة المُعتصم وإلى بعد الثلاثين وست مئة.

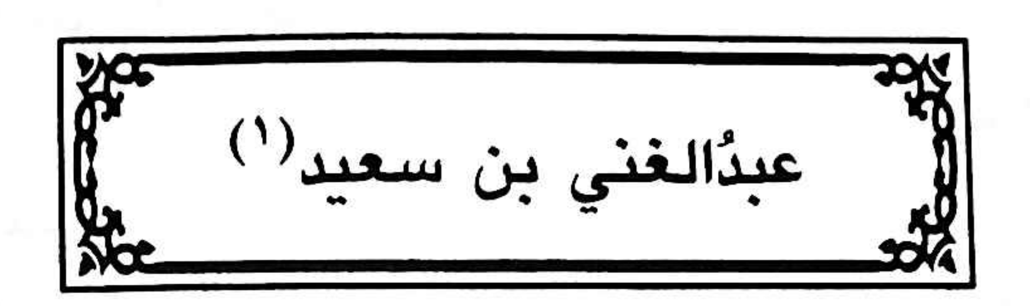
عن يحيى بن مندة قال: سمعت عمي عبدالرحمٰن: سمعت محمد بنَ عُبيدِاللّٰهِ الطَّبَرَانيَّ يقولُ: قمتُ يوماً في مجلس والدك رحمه الله فقلتُ: أيها الشيخُ، فينا جماعة ممَّن يدخلُ على هذا المشؤوم - أعني أبا نُعيم الأشعريَّ - فقال: أخرجوهم. فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً ثم قال: على الداخلِ عليهم

حرجٌ أن يدخُلَ مجلسَنا، أو يسمعَ منّا، أو يرويَ عنا، فإن فعلَ فليس هو منا في حِلّ.

قلتُ: ربما آل الأمرُ بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحِدَّة، فيقع في الهجران المُحَرَّم، وربما أفضى إلى التّكفير والسعي في الدَّم، وقد كان أبو عبدالله وافرَ الجاهِ والحُرمةِ إلى الغاية ببلده، وشغب على أحمدَ بنِ عبدالله الحافظ، بحيث إنَّ أحمد اختفى.

وإذا روى الحديثَ وسكت أجاد، وإذا بوَّب أو تكلَّم من عنده، انحرف وخَرْفَش[1]، بلى ذَنْبُه وذنبُ أبي نُعيم أنهما يرويان الأحاديثَ الساقطةَ والموضوعةَ، ولا يهتِكانها، فنسألُ الله العفو.

(١) أي: خلَّط.



عبدُالغني بن سعيد[1]

ابنِ عليٍّ، الإِمامُ الحافظ الحُجَّةُ النسابة، محدِّثُ الديارِ المصرية أبو محمد الأَزْدِيُّ المِصْريّ.

مولده في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة.

وكان أبوه سعيد فَرَضِيَّ مصرَ في زمانِهِ.

وكان من كبار الحفاظ.

قال البَرْقاني: سألتُ الدارقُطنيَّ لما قَدِمَ من مصر: هل رأيتَ في طَرِيقِكَ من يَفْهَمُ شيئاً من العلم؟

قال: ما رأيْتُ في طول طريقي إلا شاباً بمصر يقال له: عبدُالغني، كأنه شُعْلَةُ نار. وجعل يُفَخِّمُ أمره ويرفع ذِكْرَه.

---

(١) انظر السير: ٢٦٨/١٧ ـ ٢٧٣.

قال أبو الوليد الباجي: عبدُالغني بن سعيد حافظٌ متقن، قلتُ لأبي ذَرٍّ الهَرَوي:

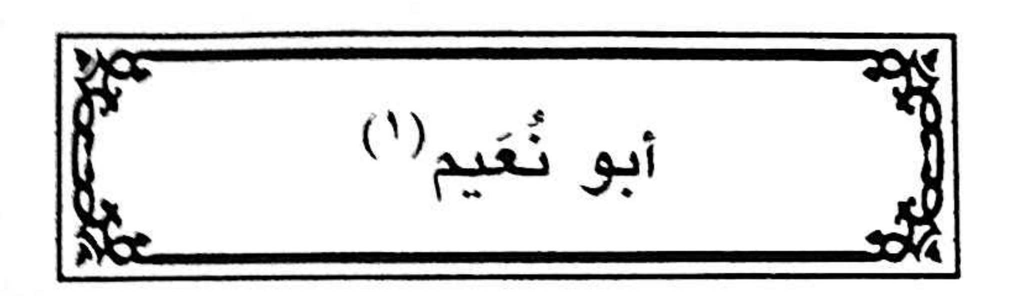
أخذتَ عن عبدالغني؟ فقال: لا، إن شاء الله. على معنى التأكيد، وذلك أنه كان لعبدالغنيِّ اتصالٌ ببني عُبيد، يعني أصحاب مصر.

قلتُ: اتصالُه بالدولة العُبيدية كان مداراةً لهم، وإلا فلو جَمح عليهم لاستأصَلَه الحاكمُ خليفةُ مصر، الذي قيل: إنه ادّعى الإلٰهية.

وأظنُّه وَلِيَ وظيفةً لهم، وقد كان من أئمة الأثَر، نشأ في سُنَّةٍ واتّباعٍ قبل وجود الرفض، واستمرّ هو على التّمسُّك بالحديث، ولكنه دارى القومَ وداهَنَهُم، فلذلك لم يُحِبَّ الحافظُ أبو ذرٍّ الأخذَ عنه.

وقد كان لعبدِالغنيِّ جنازةٌ عظيمة تحدَّثَ بها الناس، ونُودي أمامها: هذا نافي الكذب عن رسول الله ﷺ.

توفي سنة تسعٍ وأربع مئة.



أبو نُعَيم[1]

أحمد بن عبدالله بن أحمد، الإمامُ الحافظ، الثقة العلاّمةُ شيخُ الإسلام، أبو نُعيم، المهرانيُّ، الأصبهانيُّ، الصُّوفيُّ، الأحولُ وصاحب «الحِلية».

ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة.

قال أحمد بن محمد بن مَرْدَوَيْه:

كان أبو نُعيم في وقتِه مرحُولاً إليه ولم يكن في أُفُقٍ من الآفاق أسندُ ولا أحفظُ منه، كان حُفّاظُ الدنيا قد اجتمعُوا عنده، فكان كُلّ يوم نوبة واحد منهم يقرأُ ما يريده إلى قُريب الظُّهر، فإذا قام إلى داره، رُبّما كان يُقرأ عليه في الطريق جُزء وكان لا يَضجَرُ، لم يكن له غَداء سوى التصنيفِ والتسميع.

قال أبو طاهر السِّلَفيُّ: سمعتُ أبا العلاء محمدَ بن

---

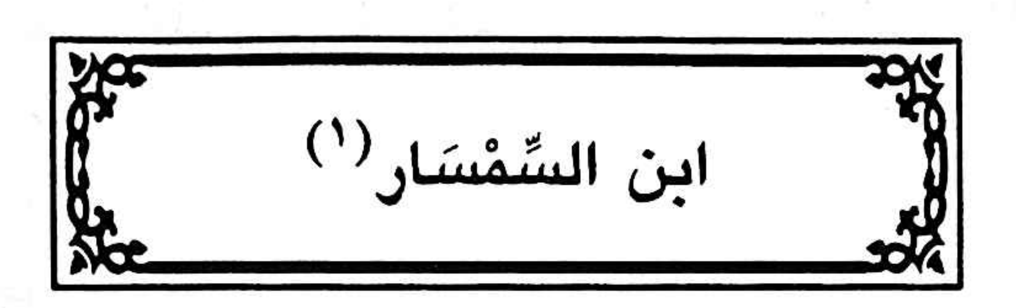
(١) انظر السير: ١٧/٤٥٣ ـ ٤٦٤.

عبدالجبار الفُرْسَانيَّ يقول: حضرتُ مجلسَ أبي بكر بن أبي علي الذَّكْواني المُعَدّل في صِغَري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسانٌ: من أراد أن يحضُر مجلسَ أبي نُعيم، فليَقُم. وكان أبو نُعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المَذْهب، وكان بين الأشعريَّةِ والحنابِلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلى فتنة، وقالٍ وقيل، وصُداعٍ طويل، فقام إليه أصحابُ الحديثِ بسكاكين الأقلام، وكاد الرجلُ يُقتل.

قلتُ: ما هؤلاء بأصحابِ الحديث، بل فَجَرةٌ جَهَلة، أبعد الله شَرَّهم.

قلت: قد كان أبو عبدالله بنُ مَنْدة يُقذِعُ في المَقَال في أبي نُعيم لمكان الاعتقادِ المُتَنازَع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نُعَيم أيضاً من أبي عبدالله في «تاريخه». وقد عُرف وهنُ كلامِ الأقرانِ المُتنَافِسين بعضِهم في بعض. نسألُ الله السَّماح.

مات أبو نعيم الحافظ، سنة ثلاثين وأربع مئة، وله أربع وتسعون سنة.



ابن السِّمْسَار (1)

الشيخُ الجليل، المسند العالم، أبو الحسن، علي بن موسى بن الحسين، ابن السِّمْسار الدمشقي.

كان مسند أهل الشام في زمانه.

قال الكتاني: كان فيه تشيُّعٌ وتساهل.

وقال أبو الوليد الباجي:

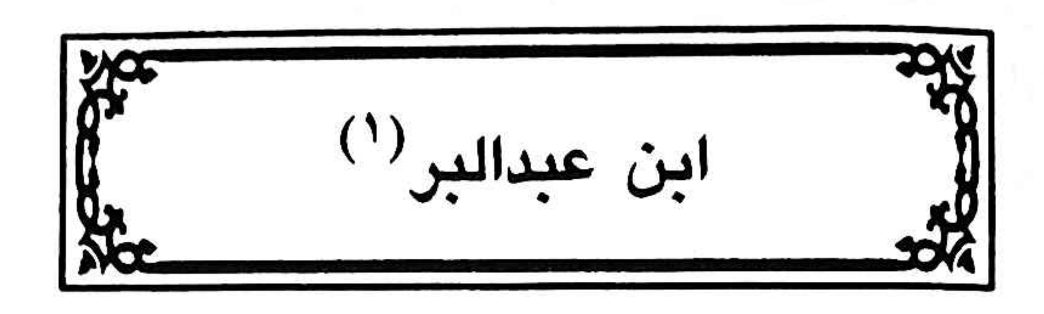
فيه تشيُّعٌ يفضي به إلى الرفض، وهو قليل المعرفة.

مات ابن السمسار سنةَ ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وقد كمل التسعين.

ولعل تشيعَه كان تقيَّةً لا سجيَّة، فإنه من بيت الحديث، ولكن غلبت الشامُ في زمانه بالرفض، بل ومصر والمغرب بالدولة العبيدية، بل والعراق وبعض العجم بالدولة البويهية، واشتد البلاء دهراً، وشَمَخَت الغلاةُ بأنفِها، وتواخى الرفضُ والاعتزالُ حينئذٍ، والناس على دين المَلِك، نسأل الله السلامَةَ في الدين.

---

(1) انظر السير: ١٧/٥٠٦ ـ ٥٠٧.



ابن عبدالبر[1]

الإمامُ العلاّمة، حافظُ المغربِ، شيخُ الإسلام، أبو عمر، يوسفُ بنُ عبدِالله بنِ محمد بن عبدِالبرّ النَّمَرِيُّ[2]، الأندلسيُّ، القُرطبيُّ المالكيّ، صاحبُ التصانيف الفائقة.

مولده في سنة ثمانٍ وستين وثلاثِ مئة.

طلب العلمَ بعد التسعين وثلاثِ مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره وعلا سندُه، وتكاثر عليه الطلبةُ، وجمع وصنّف، ووثّق وضعّف، وسارت بتصانيفه الرُّكبانُ، وخضع لعلمه علماءُ الزمان.

قلتُ: كان إماماً ديّناً ثقة، مُتْقناً، علامة، متبحّراً،

---

(١) انظر السير: ١٨/١٥٣ ـ ١٦٣.

(٢) قال ابن خلّكان: هذه النسبة إلى النَّمِر بن قاسط. بفتح النون وكسر الميم. وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة.

صاحِبَ سُنّة واتِّباع، وكان أوّلاً أثريًّا ظاهريًّا فيما قيل، ثم تحوّل مالكياً مَعَ مَيْلٍ بيِّنٍ إلى فقه الشافعيّ في مسائل، ولا يُنكر له ذلك، فإنّه مِمّن بلغ رتبةَ الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مُصَنَّفاته، بانَ له مَنزِلَتُه من سعة العلم، وقُوةِ الفهم، وسَيَلان الذهن.

وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويتركُ إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لا ينبغي لنا أن نَنسى محاسنَه، ونُغطِّيَ معارفَه بل نستغفرُ له، ونَعتذِرُ عنه.

وقال أبو عليٍّ الغَسّانيّ:

ألَّف أبو عمر في «المُوطّأ» كتباً مفيدة منها: كتاب «التمهيد لِما في الموطأ من المعاني والأسانيد» فرتَّبهُ على أسماء شيوخ مالك، على حروف المعجم، وهو كتابٌ لم يَتَقَدَّمْه أحدٌ إلى مثله، وهو سبعون جزءاً.

قلت: هي أجزاء ضخمة جدًّا.

قال ابنُ حزم:

لا أعلمُ في الكلام على فِقه الحديث مثلَه فكيف أحسن منه؟

ثم صنع كتاب «الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمَّنه الموطأُ من معاني الرأيِ والآثار» شَرَحَ فيه «الموطأ» على وجهه.

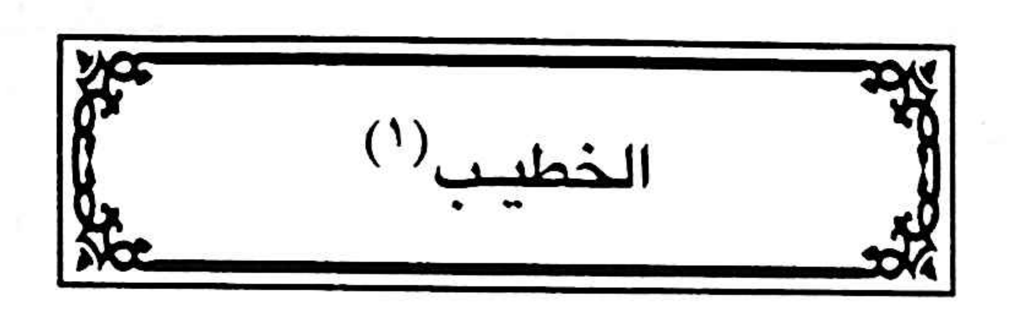
وجمع كتاباً جليلاً مفيداً وهو «الاستيعاب في أسماء الصحابة».

وله كتاب «جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله» وغير ذلك من تواليفه.

وكان موفّقاً في التأليف، معاناً عليه، ونفع الله بتواليفه وكان مع تقدُّمه في علم الأثر وبصَرِه بالفقه ومعاني الحديث له بسْطةٌ كبيرة في علم النسب والخبر.

مات أبو عمرَ سنةَ ثلاثٍ وستين وأربعِ مئة، واستكمل خمساً وتسعين سنة وخمسةَ أيام، رحمهُ الله.

قلت: وكان في أُصول الديانة على مذهب السلف، لم يَدْخُلْ في علم الكلام، بل قفا آثارَ مشايخِه رحمهم الله.



الخطيب[1]

الإمامُ الأوحد، العلاَّمةُ المُفتي، الحافظُ النّاقدُ، مُحدِّث الوقتِ أبو بكر، أحمدُ بنُ علي بن ثابت البغداديُّ، صاحبُ التصانيفِ، وخاتمةُ الحُفّاظ.

وُلد سنة اثنتينِ وتسعين وثلاث مئة.

سمع وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وكتب الكثيرَ وتقدمَ في هذا الشأن، وبَذَّ الأقران، وجمع وصنَّف وصحَّح، وعلَّل وجرّح، وعدّل وأرّخ وأوضح، وصار أحفظَ أهلِ عصرِه على الإطلاق.

وكان مِن كبار الشّافعيّة.

قال أحمدُ بنُ صالح الجِيليّ:

تَفَقَّه الخطيبُ، وقرأ بالقراءات وارتحل، وقَرُبَ من رئيس الرؤساء[2]، فلما قبض عليه البساسِيرِيُّ استتر

(١) انظر السير: ١٨/٢٧٠ ـ ٢٩٧.

(٢) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن المُسلمة.

الخطيبُ، وخرج إلى صور، وبها عزُّ الدولة، أحدُ الأجواد، فأعطاه مالاً كثيراً.

عمل نَيِّفاً وخمسين مصنفاً، وانتهى إليه الحفظُ.

وأوقف كتبه، واحترق كثير منها بعده بخمسين سنة.

قال عبدُالعزيز بنُ أحمدَ الكَتانيّ:

وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعريِّ، رحمه الله.

قلتُ: صَدَق. فقد صرّح الخطيبُ في أخبار الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت بلا تأويل.

قال الحافظ ابنُ عساكر:

سمعتُ الحسينَ بن محمد يحكي، عن ابن خيرون أو غيره، أن الخطيبَ ذكر أنه لما حج شرِب من ماء زمزم ثلاثَ شَرْباتٍ، وسأل الله ثلاثَ حاجاتٍ: أن يُحَدِّثَ بـ «تاريخ بغداد» بها، وأن يُمْلِيَ الحديثَ بجامع المنصور، وأن يُدْفَنَ عند بشر الحافي. فقُضيت له الثلاث.

قال المؤتَمَن: سمعتُ عبدَالمحسنِ الشِّيحيَّ يقولُ:

كنتُ عديلَ[1] أبي بكر الخطيب من دمشق إلى بغداد، فكان له في كلِّ يومٍ وليلة خَتمةٌ.

وقال ابن الآبَنُوسيّ:

كان الحافظُ الخطيب يَمشي وفي يده جُزءٌ يُطالعه.

وقال المؤتَمَن: كان الخطيبُ يقولُ:

من صَنّف فقد جعل عقله على طبق يَعرضه على الناس.

مكيُّ بنُ عبدالسلام الرُّمَيليُّ قال:

كان سببُ خروجِ الخطيبِ من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه صبيٌّ مليح، فتكلم الناسُ في ذلك، وكان أميرُ البلد رافضيًّا مُتَعَصِّباً، فبلغته القصةُ، فجعل ذلك سبباً إلى الفتك به، فأمر صاحبَ شُرطته أن يأخذ الخطيبَ بالليل، فيقتُلَه، وكان صاحبُ الشرطة سُنِّيًّا، فقصده تلك الليلةَ في جماعة، ولم يُمكنْه أن يُخالفَ الأمير، فأخذه، وقال:

قد أُمِرْتُ فيك بكذا وكذا، ولا أجدُ لك حيلةً إلا أني أعبرُ بك عند دار الشريفِ ابن أبي الجن فإذا

(١) أي: معادله في الركوب في المحمل.

حاذيتُ الدار اقفِزْ وادْخُل فإني لا أطلبُك، وأرْجِعُ إلى الأمير فأُخبرُه بالقصة.

ففعل ذلك، ودخل دارَ الشريف، فأرسل الأميرُ إلى الشريف أن يَبعثَ به فقال: أيها الأمير! أنتَ تعرفُ اعتقادي فيه وفي أمثاله، وليس في قَتلِه مصلحةٌ، هذا مشهورٌ بالعراق، إن قَتَلْتَه قُتِل به جماعةٌ من الشيعة، وخُرِّبَتِ المشاهد.

قال: فما ترى؟ قال: أرى أن يَنْزَحَ من بلدك. فأمر بإخراجه، فراح إلى صور وبَقِيَ بها مدة.

قال ابنُ الطاهر: سألتُ هِبَةَ الله بنَ عبدِالوارث الشيرازيّ: هل كان الخطيبُ كتصانيفه في الحفظ؟

قال: لا، كنّا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام، وإن ألحَحْنا عليه غَضِب، كانت له بادرة وَحشة ولم يكن حِفظُه على قدر تصانيفه.

وقال أبو الحسن بنُ الطُّيوريّ:

أكثر كُتُبِ الخطيب - سوى «تاريخ بغداد» - مُستفادةٌ من كتب الصُّوريّ، كان الصوريُّ ابتدأ بها وكانت له أُختٌ بصور، خلَّف عندَها اثني عشر عِدْلاً من الكتب، فحصَّل الخطيبُ من كتبه أشياء.

قلت: ما الخطيبُ بمفتقر إلى الصوريِّ، هو أحفظُ وأوسعُ رحلةً وحديثاً ومعرفة.

وأوصى بأن يُتصدقَ بجميع ثيابِه. وشيَّعه الفقهاءُ والخلقُ وحملُوه إلى جامع المنصورِ، وكان بينَ يدي الجنازةِ جماعةٌ ينادون: هذا الذي كان يَذبُّ عن النبيِّ ﷺ الكذبَ، هذا الذي كان يَحفظُ حديثَ رسولِ الله ﷺ. وخُتِمَ على قبره عِدّةُ خَتَمات.

قال أبو البركات إسماعيل بنُ أبي سعد الصوفيّ: كان الشيخُ أبو بكر ابن زهراء الصُّوفي بِرباطِنا، قد أعدَّ لنفسه قبراً إلى جانب قبرِ بشرِ الحافي، وكان يَمضي إليه كل أسبوع مرةً، وينام فيه، ويتلو فيه القرآن كُلَّه، فلما مات أبو بكر الخطيب، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشر، فجاء أصحابُ الحديثِ إلى ابن زهراء، وسألوه أن يَدفنوا الخطيب في قبره، وأن يُؤثره به، فامتنع، وقال: مَوضع قد أعددتُه لنفسي يُؤخذ مني!. فجاؤوا إلى والدي، وذكروا له ذلك فأحضر ابنَ زهراء وهو أبو بكر أحمدُ بنُ علي الطُّرَيْثِيثِيُّ فقال:

أنا لا أقولُ لك أعطهم القبر، ولكن أقولُ لك: لو أنَّ بشراً الحافي في الأحياء وأنتَ إلى جانبه، فجاء أبو بكر الخطيبُ ليقعد دونك، أكان يَحسُن بك أن تقعد أعلى منه؟

قال: لا، بل كنت أُجْلِسُه مكاني.

قال: فهكذا ينبغي أن تكون الساعةَ.

قال: فطاب قَلبُه، وأَذِنَ.

قال أبو الفضل بنُ خَيْرُونَ:

جاءني بعضُ الصالحين وأخبرني لمّا مات الخطيب أنّه رآه في النوم، فقال له:

كيف حالك؟

قال: أنا في رَوْحٍ وريحانٍ وجنةِ نعيم.

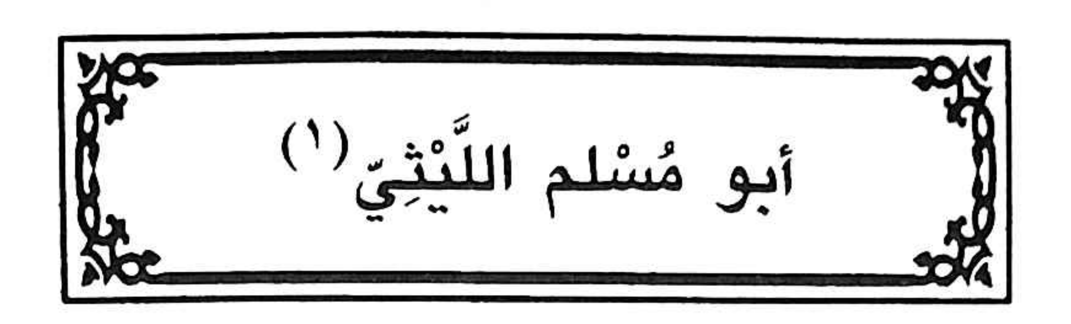
وقال أبو الحسن عليُّ بنُ الحسين بن جَدّا:

رأيتُ بعد موت الخطيب كأنّ شخصاً قائماً بحِذائي، فأردتُ أن أسأله عن أبي بكر الخطيب، فقال لي ابتداءً: أُنزِل وَسط الجنةِ حيثُ يتعارفُ الأبرار.

قلت: تناكد ابنُ الجوزي رحمه الله وغضَّ من الخطيبِ، ونسبه إلى أنه يتعصَّبُ على أصحابنا الحنابلة.

قلت: ليت الخطيبَ تركَ بعضَ الحطِّ على الكِبار فلم يَروِه.

قال أبو سعد السمعانيُّ: للخطيب ستةٌ وخمسون مصنّفاً.



أبو مُسْلم اللَّيْثِيّ [1]

الشيخ الإمام، المُحدِّث، المُفيد، الرحّالُ، الطوّافُ، أبو مسلم عمرُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ اللَّيث، اللَّيثِيُّ، البخاريُّ.

قال المؤتَمَن الساجيّ:

كان حسنَ المعرفةِ، شديد العنايةِ بالصحيح.

وقال أبو زكريا بنُ مندة:

هو أحدُ من يَدَّعي الحفظ، إلا أنه يدلِّس، ويتعصَّبُ لأهلِ البدع، أحولُ، شَرِه، كلما هاجت ريحٌ قام معها، صنّف «مسند الصحيحين».

قلتُ: آلُ مندة لا يُعبأ بقَدْحِهم في خُصومهم، كما لا نَتلفتُ إلى ذَمِّ خصومِهم لهم، وأبو مسلمٍ ثِقةٌ في نفسه.

مات بخوزستان سنة ستٍّ وستين وأربعِ مئة.

---

(١) انظر السير: ١٨/٤٠٧ ـ ٤٠٩.



شيخُ الإسلام[1]

الإمامُ القدوةُ، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبدُالله بنُ محمد بنِ عليّ، الأنصاريُّ الهَرويُّ، مصنِّفُ كتابِ «ذم الكلام»، وشيخُ خراسان.

من ذريّة صاحب النبي ﷺ أبي أيوبَ الأنصاريِّ.

مولدُه في سنة ستٍّ وتسعينَ وثلاثِ مئة.

قال المؤتَمَن:

كان يدخلُ على الأُمراء والجبابرة فما يُبالي، ويرى الغريبَ من المُحدِّثين، فيُبالِغُ في إكرامه.

وسمعتُه يقولُ: تركتُ الحِيرِيَّ لله. قال: وإنّما تركه، لأنه سمع منه شيئاً يُخالف السُّنَّة.

قلتُ: كان يدري الكلامَ على رأي الأشعريِّ، وكان شيخُ الإسلام أثريًا قُحًّا، يَنالُ من المُتكلِّمة، فلهذا أعرضَ عن الحيريِّ، والحِيريُّ: ثِقةٌ عالم، أكثر عنهُ البيهقيُّ والنّاس.

---

(١) انظر السير: ١٨/٥٠٣ ـ ٥١٨.

قال محمدُ بنُ طاهر: وسمعتُه يُنشِدُ على منبره:

أنَا حَنْبَلِيٌّ ما حَيِيتُ وإنْ أَمُتْ
فَوَصِيَّتي للنَّاسِ أن يَتَحَنْبَلوا

قلت: وقد قال في قَصيدته النونية:

أنا حَنْبَلِيٌّ ما حَيِيتُ وإنْ أمُتْ
فَوَصَيَّتي ذَاكُمْ إلى الإِخْوانِ
إذ دِينُهُ دِينِي ودِينِي دِينُهُ
مَا كُنتُ إمَّعَةً لَهُ دِينَانِ

ولقد بالغ أبو إسماعيل في «ذمّ الكلام» على الاتِّباع فأجاد ولكنه له نَفَسٌ عجيب لا يُشبهُ نَفَسَ أئمةِ السلفَ في كتابه «منازل السائرين»[1] ففيه أشياء مُطربة، وفيه أشياء مُشكلة. ومن تَأمَّله لاح له ما أشرتُ إليه، والسُّنَّةُ المحمدية صَلِفَة[2] ولا يَنْهضُ الذوقُ والوَجْدُ إلا على تأسيسِ الكتاب والسنة.

---

(١) طبع كتاب «منازل السائرين» مع شرحه «مدارج السالكين» للعلاَّمة ابن القيم، وقد تعقبه الإمام ابن القيم رحمه الله في شرحه هذه الأشياء المشكلة وانتقدها انتقاداً جيداً.

(٢) معناها ـ هنا ـ والله أعلم: شديدة قوية: انظر «المعجم الوسيط» (ص ل ف).

وقد كان هذا الرجلُ سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صَوْلَةٌ وهيبةٌ واستيلاءٌ على النفوس ببلده، يُعظمونه، ويتغالَون فيه، ويَبذلون أرواحهم فيما يأمرُ به، كان عندهم أطوعَ وأرفعَ من السلطان بكثيرٍ.

وكان طوداً راسياً في السنة لا يتزلزلُ ولا يَلين، لولا ما كَدَّر كتابَه «الفاروق في الصفات» بذكر أحاديثَ باطلةٍ يجبُ بيانُها وهَتْكُها، والله يغفرُ له بِحُسْنِ قصده.

قال ابنُ طاهر: سمعتُه يقول:

عُرضتُ على السيف خمسَ مرات لا يقال لي: ارجعْ عن مذهبك. لكن يُقال لي: اسكت عمّن خالفك. فأقول: لا أسكُتُ.

وسمعتُهُ يقول: أحْفَظُ اثني عشرَ ألفَ حديثٍ أسرُدها سرداً.

قلتُ: قد انتفعَ به خَلْقٌ، وجَهِلَ آخرون، فإنّ طائفةً من صَوَفَةِ الفلسفةِ والاتحادِ يخضعون لكلامه في «منازل السائرين» ويَنتحِلُونه ويزعُمون أنه مُوافقهم. كلا، بل هو رجل أثَريٌّ، لَهِجٌ بإثبات نُصوص الصفات، مُنافِرٌ للكلام وأهلِه جداً، وفي «منازله» إشاراتٌ إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك الفَناء هو الغَيْبَةُ عن شُهود

السّوى[1]، ولم يُرِدْ مَحْوَ السِّوى في الخارج، ويا ليته لا صنَّف ذلك، فما أحلى تصوُّف الصحابةِ والتابعين، ما خاضوا في هذه الخطَراتِ والوساوس، بل عبدوا الله وذَلُّوا له وتَوكَّلوا عليه، وهم من خشيته مُشفقون، ولأعدائِه مُجاهدون، وفي الطاعة مُسارعون، وعن اللَّغو مُعرضون، والله يَهدي من يشاءُ إلى صراط مستقيم.

قال أبو الوقتِ السِّجْزيُّ:

دَخَلْتُ نَيسابور، وحضرتُ عند الأستاذِ أبي المعالي الجُوينيِّ، فقال: من أنت؟

قلت: خادمُ الشيخ أبي إسماعيلَ الأنصاريِّ.

فقال: رضي الله عنه.

قلتُ: اسمع إلى عقل هذا الإمام وَدَعْ سَبَّ الطَّغَام، إنْ هُمْ إلا كالأنعام.

وقال عبدُالغافر بنُ إسماعيل:

كان أبو إسماعيلَ الأنصاريُّ على حظٍّ تامٍّ من معرفة العربيّةِ والحديثِ والتواريخِ والأنسابِ، إماماً كاملاً في التفسير، حسنَ السيرةِ في التصوُّف، غيرَ مشتغلٍ بكسبٍ.

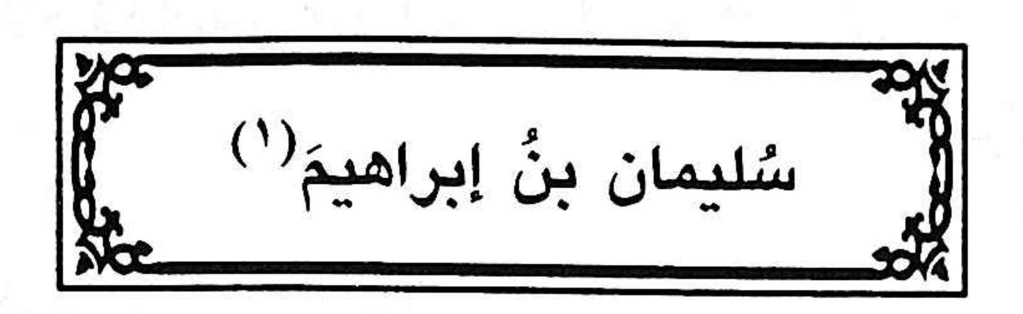
---

(١) أي: ما سوى الله تعالى.

وعنه أخذَ أهلُ هَراةَ التبكيرَ بالفجر، وتسميةَ الأولاد غالباً بعبدِ المضافِ إلى أسماءِ الله تعالى.

قيل: إنَّ شيخ الإسلام عَقد على تفسير قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ثلاثَ مئةٍ وستينَ مجلساً.

تُوفي شيخُ الإسلام سنةَ إحدى وثمانينَ وأربعِ مئة عن أربعِ وثمانينَ سنةً وأشهرٍ.



سُليمان بنُ إبراهيمَ[1]

ابنِ محمد الحافظ، العالمُ المحدِّث المفيدُ، أبو مسعودِ الأصبَهانيّ.

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاث مئة.

قال السَّمعانيُّ:

كانت له معرفةٌ بالحديث، جمعَ الأبوابَ، وصنَّف التصانيفَ، وخرَّج على «الصحيحين»، سألتُ أبا سعدٍ البغداديَّ عنه فقال: لا بأسٍ به، ووصفَه بالرِّحلة والجَمْعِ، والكَثْرةِ، كان يملي علينا فقام سائلٌ يطلب، فقال سليمان:

من شُؤمِ السائِلِ أن يسألَ أصحابَ المحابِرِ.

وسألت إسماعيلَ الحافظ عنه، قال:

---

(١) انظر السير: ٢١/١٩ ـ ٢٥.

حافِظٌ، وأبوه حافظ.

وقال يحيى بن مَندة:

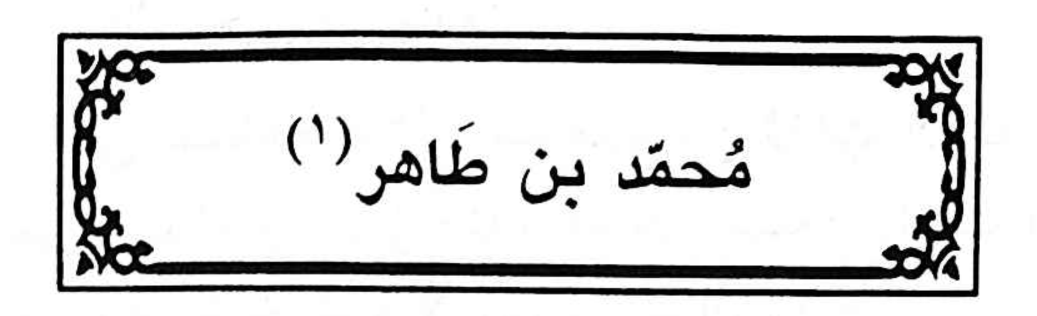
في سماعه كلامٌ، سمعتُ من ثقاتٍ أن له أخاً يُسمّى إسماعيلَ أكبرَ منه، فحكّ اسمَه، وأثبت اسمَ نفسه، وهو شيخ شَرِهٌ لا يتورَّع، لحَّان وقَّاح[1].

تُوفِّي سنةَ ستٍ وثمانين، وله تسعون عاماً غير أشهر.

وينبغي التوقّفُ في كلام يحيى، فبينَ آلِ منْدَة وأصحاب أبي نُعيمٍ عداواتٌ وإحَنٌ.

---

(١) في اللسان: وقُحَ الرجلُ: إذا صار قليلَ الحياء، فهو وَقِح وَوَقَّاحٌ.



مُحمّد بن طَاهر[1]

ابنِ علي الإمام الحافظُ، الجوّال الرحّال، ذو التصانيف أبو الفضل بن أبي الحسين بن القَيْسَرَاني، المقدسيّ الأثريّ، الظّاهريّ الصوفيّ.

وُلِدَ ببيت المقدس سنةَ ثمانٍ وأربع مئة.

وكتب ما لا يُوصَفُ كثرةً بخطه السريع، القوي الرفيع، وصنَّفَ وجمع وبرع في هذا الشأنِ، وعُنِيَ به أتَمَّ عِنَايَة، وغيرُهُ أكثرُ إتقاناً وتحرياً منه.

قال أبو مسعود عبدُالرحيم الحاجي: سمعتُ ابنَ طاهر يقول:

بُلْتُ الدَّمَ في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأخرى بمكة، كنتُ أمشي حافياً في الحرِّ، فلحقني ذلك، وما ركبتُ دابة قطُّ في طلب الحديث، وكنت

(١) انظر السير: ٣٦١/١٩ ـ ٣٧١.

أحْمِلُ كتبي على ظهري، وما سألتُ في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي.

وقيل: كان يمشي دائماً في اليوم والليلة عشرينَ فرسخاً، وكان قادِراً على ذلك.

وقد ذكره الدَّقّاق في رسالته، فحطَّ عليه، فقال: كان صوفياً ملامتياً، سكن الرَّيَّ، ثم هَمَذَان، له كتاب «صفوة التصوف» وله أدنى معرفة بالحديثِ في باب شيوخ البخاريِّ ومسلمٍ وغيرهما.

قلت: يا ذا الرجل أقْصِرْ، فابنُ طاهرِ أحفظُ منك بكثير.

ثم قال: وذُكِرَ لي عنه الإباحة.

قلتُ: ما تعني بالإباحة؟ إن أردتَ بها الإباحةَ المطلقة، فحاشا ابن طاهر، هو ـ والله ـ مسلمٌ أثريٌّ، مُعَظِّم لحرمات الدين، وإن أخطأ أو شذ، وإن عنيتَ إباحةً خاصَّةً، كإباحة السَّماعِ، وإباحةِ النظر إلى المُرْدِ فهذه معصية، وقول للظاهرية بإباحتها مرجوح.

قال أبو سعدِ السمعانيّ:

سألتُ إسماعيلَ بنَ محمد الحافظ عن ابن طاهر، فتوقَّف، ثم أساءَ الثناءَ عليه، وسمعتُ أبا القاسمِ بنَ عساكر يقول: جَمَعَ ابنُ طاهرِ أطرافَ «الصحيحين» وأبي

داود، وأبي عيسى والنسائي وابن ماجه، فأخطأ في مواضعَ خطأً فاحشاً.

وقال ابنُ ناصر: كان لُحَنَةً ويُصَحِّف، قرأ مرّة: وإنّ جَبينَه لَيَتَفَصَّدُ[1] عَرَقاً - بالقاف - فقلت: بالفاء، فكابرني.

وقال السِّلَفيّ:

كان فاضلاً يَعْرِفُ، لكنَّه لُحَنَة، قال لي المُؤتَمَنُ السَّاجي: كان يقرأ، ويَلْحَنُ عند شيخ الإسلام بهَراة، فكان الشيخُ يُحرِّكُ رأسَه، ويقول: لا حَوْلَ ولاَ قوَّة إلا بالله.

قال ابنُ طاهر: كُنت يوماً أقرأ على أبي إسحاق الحبَّال جزءاً فجاءني رجلٌ من أهل بلدي، وأسرَّ إليّ كلاماً قال فيه: إن أخاك قد وصل مِن الشام، وذلك بعدَ دخولِ التركِ بيتَ المقدس، وقتل الناس بها، فأخذتُ في القراءة، فاختلطت عليَّ السطورُ، ولم يُمكني أقرأ، فقال أبو إسحاق: ما لك؟

قلتُ: خير.

قال: لا بُدَّ أن تُخبرني، فأخبرتُه، فقال:

---

(١) أي: يسيل، من التفصد وهو السيلان، وهو قطعة من حديث.

وكم لك لم تر أخاك؟

قلتُ: سنين.

قال: ولِمَ لا تذهبُ إليه؟

قلت: حتى أُتِمَّ الجزءَ.

قال: ما أعظمَ حرصَكم يا أهلَ الحديث، قد تَمَّ المجلس، وصلّى الله على محمد، وانصرف.

وأقمتُ بِتنّيس مدةً على أبي محمد بن الحداد ونظرائه، فضاق بي فلم يبقَ معي غيرُ درهمٍ، وكنت أحتاج إلى حبرٍ وكَاغَد، فترددت في صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز، ومضى على هذا ثلاثةُ أيّام لم أطْعَمْ فيها فلما كان بكرةَ اليوم الرابع، قلتُ في نفسي: لو كان لي اليوم كاغَد لم يُمكنني أن أكتبَ من الجُوع، فجعلت الدرهم في فمي.

وخرجتُ لأشتري خبزاً، فبلعتُه، ووقع عليّ الضحكُ، فلقيني صديق وأنا أضحك، فقال:

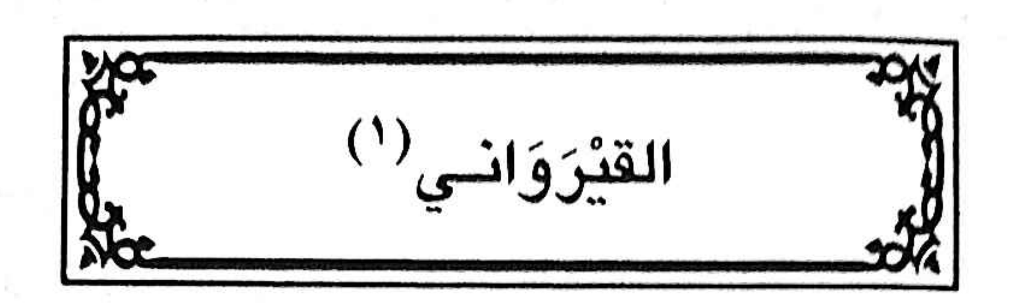
ما أضحكك؟

قلت: خير، فألحَّ عليَّ، وأبيتُ أن أُخْبِرَه، فحلف بالطلاق لتَصْدُقَنّي، فأخبرتُه، فأدخلني منزلَه، وتكلّف أطعمةً، فلما خرجنا لصلاة الظهر، اجتمع به بعضُ

وكلاء عامل تِنِّيس ابنِ قادوس، فسأله عنِّي فقال: هو هذا، قال:

إن صاحبي منذ شهرٍ أمر بي أن أُوصِلَ إليه كُلَّ يومٍ عشرةَ دراهم قيمتُها ربعُ دينار، وسهوتُ عنه، فأخذ منهَ ثلاثَ مئةٍ وجاء بها.

مات ابنُ طاهر عند قدومه من الحج سنةَ سبعٍ وخمس مئة.



القَيْرَوَانـي [1]

العلامةُ الأُصوليُّ، شيخُ القُرّاء، أبو عبدِالله محمدُ بنُ عتيق بنِ محمدِ التميميُّ القَيْرَوَانِيُّ، المعروف بابن أبي كُديَّة.

تصدّر لإقراء الأصولِ، وكان متعصّباً لمذهب الأشعريّ.

قال ابن عقيل:

هو شيخ هشٌّ، حسنُ العارضة، جاري العبارة، حُفَظَةٌ متدَيّنٌ صَلِفٌ، تذاكرنا، فرأيتُه مملوءاً علماً وحفظاً.

تُوفّيَ سنةَ اثنتي عشرة وخمس مئة عن نحو من تسعين سنة.

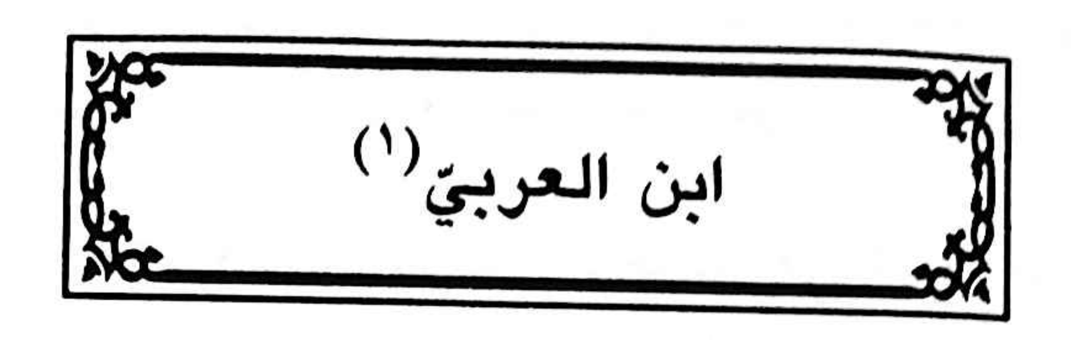
---

(١) انظر السير: ٤١٧/١٩ ـ ٤١٨.

قال السِّلَفيّ: كان مشاراً إليه في الكلام، قال لي: أنا أَدْرُسُ الكلامَ من سنة ثلاث وأربعين، جَرتْ بينَه وبينَ الحنابلةِ فِتَنٌ وأُوذِيَ غايةَ الإيذاء، سألتُه عن مسألة الاستواءِ، فقال: أحدُ الوجهين للأشعريِّ أنّه يُحمَلُ على ما ورد ولا يُفَسَّر.

قال ابن ناصر وجماعةٌ: كان أصحابُ القيروانيِّ يشهدون عليه أنه لا يُصلِّي ولا يغتسِلُ من جنابة في أكثر أحوالِه، ويُرْمى بالفسقِ مع المُرْدِ واشْتُهِرَ بذلك، وادَّعى قراءَةَ القرآنِ على ابنِ نفيس.

قلتُ: هذا كلام بِهَوًى.



ابن العربيّ[1]

الإمامُ العلاّمةُ الحافظُ القاضي، أبو بكر، محمدُ بنُ عبداللَّهِ بنِ محمد، ابنُ العربي الأندلسيُّ، الإِشبيليُّ، المالكيُّ، صاحبُ التصانيف.

مولده في سنةِ ثمانٍ وستين وأربع مئة.

وكان أبوه أبو محمدٍ من كبارِ أصحاب أبي محمد بن حزم الظّاهري بخلاف ابنِهِ القاضي أبي بكر، فإِنَّه مُنافِرٌ لابنِ حزم، مُحِطٌّ عليه بنفسٍ ثائرة.

وتَفَقَّه بالإِمام أبي حامدٍ الغزاليِّ، والفقيهِ أبي بكرِ الشاشيِّ والعلاَّمةِ الأديب أبي زكريا التَّبريزيّ، وجماعة.

ورجع إلى الأندلس في سنة إحدى وتسعين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٠/١٩٧ ـ ٢٠٤.

قلتُ: رجع إلى الأندلس بَعْد أن دفنَ أباهُ في رحلته ـ أظنُّ ببيتِ المقدس ـ وصنَّف، وجمع، وفي فنون العلم بَرَعَ، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً.

صنَّف كتاب «عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذيّ» وفسر القرآن المجيد، فأتى بكل بديع.

وله كتاب «كوكب الحديث والمُسلسلات» وكتاب «الأصناف» في الفقه، وأشياء سوى ذلك، أدخل الأندلس إسناداً عالياً، وعلماً جمًّا.

وكان ثاقبَ الذهن، عذبَ المنطِق، كريمَ الشمائل، كاملَ السُّؤدُدِ، وَلِيَ قضاءَ إشبِيلِيَة، فَحُمِدت سياسَتُهُ، وكان ذا شدَّةٍ وسطوة فعُزِلَ، وأقبل على نشرِ العلم وتدوينِهِ.

كان القاضي أبو بكر ممن يُقالُ: إنه بلغ رُتبة الاجتهاد.

قرأت بخط ابنِ مَسْدي في «معجمه»:

أخبرنا أحمدُ بنُ محمد بنِ مُفرج النَّبَاتيُّ، سمعتُ ابنَ الجَدِّ الحافظَ وغيرَه يقولُون:

حضر فُقهاءُ إشبِيلِيَة: أبو بكر بنُ المُرَجّي وفلان وفلان، وحضر معهم ابنُ العربيِّ فتذاكروا حديثَ المِغْفَر.

فقال ابنُ المُرَجّي: لا يُعرفُ إلا مِن حديث مالكٍ عن الزُّهريِّ، فقال ابنُ العربيِّ: قد رويتُه من ثلاثةَ عشرَ طريقاً غيرَ طريقِ مالك. فقالوا: أفِدْنا، فوعدَهُم، ولم يُخرِج لهم شيئاً، وفي ذلك يقولُ خلَفُ بن خير الأديب:

يا أهلَ حِمِصَ[1] ومَنْ بِهَا أُوصيكُمُ
بالبِرِّ والتقوى وصيَّةَ مُشفِقِ
فخُذوا عن العَرَبيِّ أسمارَ الدُّجى
وخُذوا الرِّوايةَ عن إمامٍ مُتَّقِ
إنَّ الفَتى حُلْوُ الكَلامِ مُهذَّبٌ
إنْ لم يَجِد خَبَراً صحيحاً يَخْلُقِ

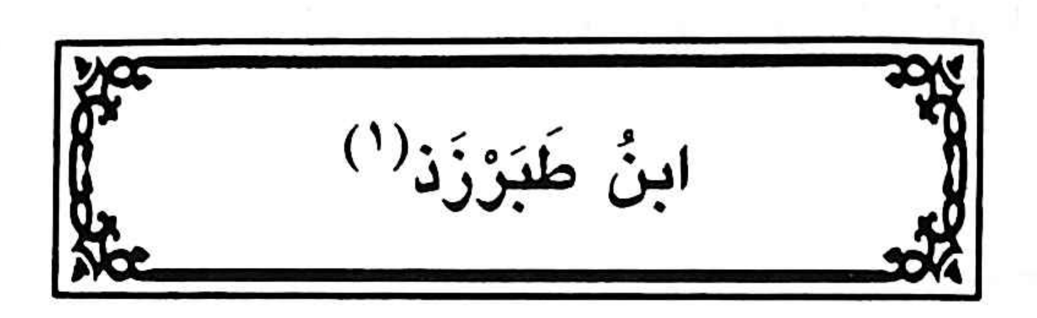
قلت: هذه حكاية ساذجةٌ لا تدلُّ على تَعمُّد، ولعل القاضي رحمه الله وَهِمَ، وسرى ذهنُه إلى حديثٍ آخر، والشاعرُ يخلُقُ الإفكَ، ولم أَنْقَمْ على القاضي

---

(١) ويقصد بحمص هنا إشبيلية، إذ كانت تدعى حمص أيضاً.

رحمه الله إلا إقذاعه في ذَمّ ابنِ حزم واستجهالَه له، وابنُ حزم أوسعُ دائرةً من أبي بكرٍ في العُلُوم، وأحفَظُ بكثير، وقد أصابَ في أشياءَ وأجاد، وزَلَقَ فَي مضايقَ كغيره من الأئمة، والإِنصافُ عزيز.

تُوفي ابنُ العَربيِّ بفاس سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمس مئةٍ.



ابنُ طَبَرْزَذ[1]

الشَّيخ المُسْنِد الكبير الرُّحَلَةُ، أبو حفص عُمرُ بنُ محمدِ بنِ مُعَمَّرِ البَغْدَاديُّ المؤدِّب ويعرف بابن طَبَرْزَذ، والطَّبَرْزَذ بذال معجمة هو السُّكَّر.

مولده في سنة ست عشرة وخمس مئة.

وقال ابن الدُّبَيْثِيّ: عاش تسعين سنة وسبعة أشهر.

قال أبو شامة:

تُوفِّيَ ابنُ طبرزذَ، وكان خليعاً ماجناً.

قال ابنُ النَّجّار:

كان يؤدِّب الصبيان، ويكتب خطًّا حسناً، ولم

---

(١) انظر السير: ٢١/٥٠٧ ـ ٥١٢.

يكن يفهم شيئاً من العلم، وكان متهاوناً بأمور الدِّين، رأيته غيرَ مرّةٍ يبول من قيام، فإذا فرغ من الإراقة أرسل ثوبَه وقَعَد من غير استنجاء بماء ولا حجر.

قلت: لعله يرخص بمذهب من لا يُوجب الاستنجاء[1].

قال: وكنّا نسمع منه يوماً أجمع، فنصلي ولا يُصلي معنا، ولا يقوم لصلاة، وكان يطلب الأجرَ على رواية الحديث، إلى غير ذلك من سوءِ طَرِيقته، وخَلَّف ما جمعَهُ من الحُطام، لم يُخْرِج منه حَقًّا لله عزَّ وجلَّ.

وسمعت القاضي أبا القاسم ابن العَدِيم يقول: سمعت عبدالعزيز بن هلالة يقول: وغالب ظني أنني سمعته من ابن هِلالة بخُراسان، قال:

رأيتُ عُمر بن طَبَرْزَذ في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق، فقلت له: سألتُك بالله ما لقيتَ بعد موتك؟

فقال: أنا في بيت من نار، داخل بيت من نار.

---

(١) هذا من الإنصاف العجيب للإمام الذهبي، فهذا الرجل على ما قيل فيه وما سيأتي عنه يدافع عنه الذهبي هذا الدفاع، ويذب عنه هذا الذب.

فقلتُ: ولم؟

قال: لأخذ الذَّهبَ على حديثِ رسول الله ﷺ.

قلت: الظاهر أنَّه أخَذَ الذَّهبَ وكَنَزه ولم يزكُه، فهذا أشدُّ من مُجرد الأخذ، فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مُغْتَفرٌ له، فإن أخذ بسؤال رُخِّص له بقَدَر القُوت، وما زاد فلا، ومن سأل وأخذ فوق الكفايةِ ذُمّ، ومن سأل مع الغِنى والكفاية حَرُمَ عليه الأخذ، فإن أخذ المال والحالة هذه وكَنَزَه ولم يؤد حق الله فهو من الظالمين الفاسقين، فاستفتِ قلبك، وكن خَصْماً لربك على نفسك.

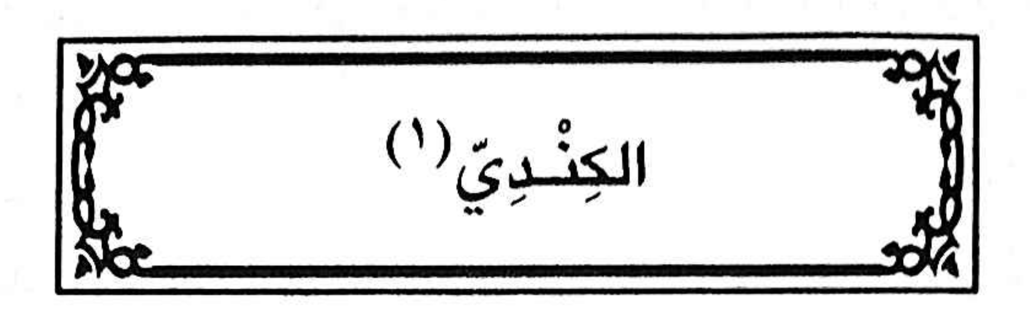
قال عمر بن المبارك بن سهلان:

لم يكن أبو البقاء بن طَبَرْزَذ ثقة، كان كَذّاباً يضع للناس أسماءَهم في الأجزاء ثم يذهب فيقرأ عليهم، عرف بذلك شيخُنا عبدالوهاب ومحمد بن ناصر وغيرهما.

توفّي أبو حفص بن طَبَرْزَذ في سنة سبع وست مئة، ودفن بباب حرب.

والله يسامحه، فمع ما أبدينا من ضعفه قد تكاثر

عليه الطلبة، وانتشر حديثه في الآفاق وفرح الحُفّاظ
بعواليه، ثم في الزمن الثاني تزاحموا على أصحابه،
وحملوا عنهم الكثير وأحسنوا الظن، والله الموعد،
ووثّقه ابن نُقطة.



الكِنْـدِيّ(1)

الشيخُ الإمامُ العَلاّمةُ المُفتي، شيخُ الحنفية، وشيخُ العربية، وشيخُ القراءات، ومُسند الشام، تاج الدين أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدِ الكِنديُّ البَغْدَاديُّ.

ولد سنةَ عشرين وخمس مئة.

وحفظ القرآن وهو صغير مُمَيّز، وقرأه بالروايات العَشْر، وله عشرة أعوام، وهذا شيء ما تهيّأ لأحد قبله، ثم عاش حتى انتهى إليه علو الإسناد في القراءات والحديث.

كان حنبلياً، فانتقل حَنَفيًّا، وبرعَ في الفقه، وفي النحو، وأفتى وَدَرَّسَ وَصَنَّفَ، وله النَظْمُ والنَّثْرُ، ثِقَةً في نَقْلِهِ، ظَريفاً كَيّساً، ذا دعابةٍ وانطباعٍ.

---

(1) انظر السير: ٢٢/٣٤ ـ ٤١.

قال ابن النَّجار: وكان الملك المعظّم يقرأُ عليه الأدبَ، ويقصده في منزله ويُعظِّمه، وكان بهيًّا وقوراً، أشبه بالوزراء من العلماء، لجلالته وعلو منزلته، وكان أعلمَ أهلِ زمانه بالنحو، أظنه يحفظ «كتاب سيبويه»؛ ما دخلت عليه قطُّ إلاّ وهو في يده يطالعه، وكان في مجلد واحد رفيع يقرؤه بلا كُلْفة وقد بلغَ التّسعين، وكان قد مُتِّعَ بسمعِهِ وبصرِه وقوّتِهِ.

وقال القِفْطيّ:

كان لَيّناً في الرواية، معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه، وإذا نُوظِرَ جَبَهَ بالقبيح، ولم يكن موفَّقَ القلم، رأيتُ له أشياءَ باردةً، واشتُهِر عنه أنّه لم يكن صحيحَ العقيدة.

قلت: ما علِمنا إلا خَيْرَاً، وكان يُحبُّ الله ورسولَه وأهلَ الخَير، وشاهدت له فتيا في القرآن تدل على خير وتقريرٍ جيد، لكنها تُخالِفُ طريقةَ أبي الحسن[1]، فلعلَّ القِفطيّ قصد أنه حنبليُّ العَقْدِ، وهذا شيء قد سَمُجَ القولُ فيه، فكل من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفِرُ له، أعاذنا الله من الهوى والنفس.

---

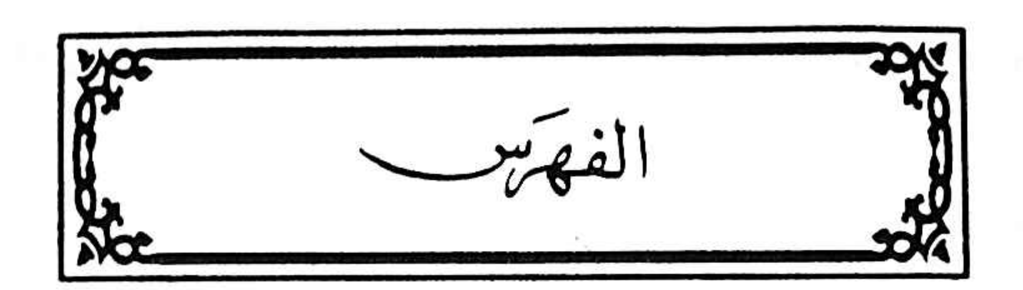
(١) الأشعري.

وقال الموفق عبداللطيف:

اجتمعتُ بالكِنديّ، وجرَى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهيًّا ذكيًّا مثرياً، له جانبٌ من السلطان، لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه.

قلت: أذاه لهذا القائل أنه لقَّبه بالمطحن.

توفِّي سنة ثلاث عشرة وست مئة.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة